

بولس

الرسول المحب والمجاهد الشجاع
كما يراه القديس **يوحنا ذهبي الفم**



بولس الرسول المحب والمجاهد الشجاع

الطبعة الثانية ٢٠١١

ترجمة نشأت مرجان

الناشر: دار النشر الأسقفية ٣٠ ش شبرا - القاهرة - مصر.

ت: ٢٥٧٥٥٣١٦ (٠٢٠٢) - ٢٥٧٦٦٧٠٢ (٠٢٠٢).

الموقع الإلكتروني : www.darelnashr.com

المطبعة: مطبعة سان مارك ٢٣٤١٨٨٦١

تصميم الغلاف: نبيل ميخائيل

رقم الإيداع: ٢٢٢٢٧ / ٢٠٠٨

الترقيم الدولي: 977 - 5884 - 85 - 2

محتويات الكتاب

مقدمة :	٥
العظة الأولى :	١٥
العظة الثانية :	٢٩
العظة الثالثة :	٣٩
العظة الرابعة :	٤٩
العظة الخامسة :	٧١
العظة السادسة :	٨٥
العظة السابعة :	٩٩

مقدمة

إذا تساءلنا ماذا كان عند القديس بولس الرسول (من صفات) جذبت بالأكثر انتباه يوحنا ذهبي الفم، فإننا نجد الإجابة في كل سطر من كلامه عنه ألا وهو حبه للمسيح! . فإن كان القديس بولس الرسول قد احتلَّ إعجابه، فهذا بسبب غيرته كمرسل للكراسة بالمسيح. هذا الإنسان الغيور الذي أراد أن ينشر الإيمان بالمسيح بأقصى سرعة، وكأن شيئاً ما كان يضغط عليه، وكأنه كان قد أُعطي مهلة ولم يكن لديه سوى وقت قصير لكي يلهب العالم بنار الإنجيل.

وبلا شك، فإن القديس يوحنا ذهبي الفم لم يفحص الأسباب اللاهوتية أو النفسية لهذا البلهف التبشيري غير العادي. إنه يسجله ويتصور مع القديس بولس الرسول أن سببه الأخير هو حبه للمسيح.

وهذا هو ما سمح له - على سبيل المثال - منذ الحديث الأول، أن يقول عن ذلك الذي كان رسولاً إليه - كما هو رسولاً إلينا - وللذين هم أكثر علماً منا:

[بعد أن كرّس بولس الرسول نفسه تماماً، قدم أيضاً كل الخليقة: الأرض والبحر والعالم اليوناني (أي العالم المثقف المتحضر) والعالم البربري (أي المتخلف الجاهل)، وبكلمة واحدة كرّس كل الأمم التي تحت الشمس، كما لو كان قد أُعطي أجنحة واجتازها كلها ولم يكتف بالعبور فيها: بل في اجتيازه كان يقتلع الخطايا مع أشواكها من أجل

أن يزرع حياة التقوى الحقيقية وينتزع الضلال ويقيم الحق محوّلًا
البشر إلى ملائكة. وماذا أقول، إنه جعل الشياطين ملائكة، فهكذا كان
حال البشر (آنذاك).]

القديس بولس هو الكارز بالإنجيل، المبشر بالإيمان، الزارع بذار
الكلمة لحساب المسيح في العالم، هذا هو بولس ذهبي الفم!.

وقد اعتبره كثيرون لاهوتياً يركز على عمل النعمة واكتشفوا في
رسائله ما يمكن أن نقوله نظرية الخلاص بالإيمان (العامل بالمحبة)،
وجعلوا من رسالته إلى رومية الموضوع الرئيسي في المسيحية.

والقديس يوحنا ذهبي الفم اكتشف في القديس بولس من شهادة
سفر الأعمال والرسائل رجلاً يحب المسيح لدرجة أنه كان يود أن
يعطيه لكل الناس مع احتمال خسارته لنفسه.

إن حجم العظات التي فيها تكلم ذهبي الفم عن بولس الرسول
تبرهن على أنه كان يحيا في شركة قلبية وصلة وثيقة معه. فهو كثيراً
جداً وبتلقائية قدم مثال بولس للمؤمنين الذين يسمعون بحرارة تكشف
عن شدة إعجابه به. فكيف إذاً لا يقبل بمنتهى الفرح فكرة تخصيص
سبع عظات لتقريظ هذا الرسول العظيم يكشف فيها عن السمات
الأساسية لروحانيته الغنية بالنعمة؟.

همة (نشاط) بولس الرسول

إن السمة الأولى التي يذكرها ذهبي الفم في تقرّظه للقديس بولس
الرسول هي غيرته غير العادية وهمته الفائقة. في مرات كثيرة يؤكد
أن هذا الرسول وصل إلى درجة غير عادية من الفضيلة وأنه أدى

أعمالاً شبه كاملة، ولكي نُفصل كلامنا، فإنه شرح على الأخص طريقتين مختلفتين لهذه المهمة التي يتميز بها هذا الرسول.

إنه أراد أن يُظهر شجاعة الرسول من خلال رحلاته التبشيرية. فهو منذ الحديث الأول ذكر بصيغة فيها مبالغة أن هذا الرسول اجتاز "كل الأقطار التي تحت الشمس"، وفي الحديث الثاني أبرز انتصارات خدمته الرسولية بصورة معبرة فقال: "إنه كان يتقدم بمهابة كما في موكب انتصاري وينصب على الأرض أقواس انتصارات متوالية"، في الحديث الثالث يذكر بعضاً من نشاطاته المتعددة بقوله: "إنه سواء بحضوره أو برسائله ٠٠ بأحاديثه أو بأعماله ٠٠ بتلاميذه أو بنفسه هو شخصياً، كان يقيم الذين سقطوا ويثبت القائمين ٠٠ " مع أن بولس لم يمتلك في مثل هذا الجهاد أيّاً من الكنوز التي يتباهى بها الناس على العموم: أي لم يكن له غنى أو أصل نبيل كما لم يكن له فصاحة هذا العالم (حديث ٤: ١٠)، بل هو مثل جندي تقدم بمفرده إلى المعركة في الحال في مواجهة أعداء كثيرين مسلحين باقتدار وقلبَ حصونهم واكتسب إلى صفه حتى أعداءه. وقد اجتذب إليه كل مدن العالم القديم المشهورة وعلى رأسها روما وأثينا وكورنثوس وأفسس.

نظر القديس يوحنا ذهبي الفم بإعجاب شديد لبولس وهو على ظهر السفينة التي نقله نحو عاصمة الإمبراطورية فقال: " في الحقيقة لم تكن الموقعة المعروضة عليه قليلة الأهمية فقد كان مطلوباً منه تبشير مدينة روما وتحويلها عن وثنيّتها" (حديث ٧: ٩). وليس هذا فقط، بل بدلاً من التوقف هناك، فإنه سعى إلى السفر إلى أسبانيا.

إن هذا النشاط الذي لا يكل لبولس أثار إعجاب ذهبي الفم جداً، فهو لم يبحر مراراً أو طاف بأقطار كثيرة نظيره، لكن عندما اتخذ قراره بالتخلي عن حياة الوحدة كان بولس هو مثله الذي يقتدي به في عمله الفياض من إعداداته للموعظين، وعظاته العديدة، وغيروته الرسولية وانشغاله بالتتابع الأسقي في الأقطار البربرية، ومراسلته بإلحاح لا يمل لكهنة ورهبان فينيقية لتبشير الوثنيين، دون أن ينسى (وسط مشاغله الكثيرة) تحرير رسائله الكثيرة أو عظاته، وكل هذا أتمه دون أن يأخذ راحة لنفسه وفي احتقار شديد لأتعبه الجسدانية.

ويوجد أيضاً نوع آخر من الهمة والنشاط لدى بولس نال إعجاب ذهبي الفم ألا وهو شجاعته التي لا تقهر في لحظات الاضطهادات، فقد كانت له نفس "أقوى من الصخر وتفوق الحديد والماس صلابة" (حديث ١: ١٠، ١١، ١٢). فبولس كان من الشخصيات التي لها القدرة على تحويل مسار التاريخ واتجاهه، ومثل هؤلاء لا يوجد بهم الزمان إلا نادراً، فقبل أن يولد وترى عيناه النور يدعوه الله دعوة خاصة: "قبلما صورتك في البطن عرفتك، وقبلما خرجت من الرحم قدستك، جعلتك نبياً للشعوب" (إرميا ١: ٥)، وبولس الرسول أدرك مبكراً أن طاقاته وإمكانياته مكرسة لهذه المهمة بل هو يؤمن أن الله قادر أن يُعَدِّلَ فيها ويكفيها وينميها حسب الظروف والمقاومات والضيقات والحروب: "هَآنَذَا قَدْ جَعَلْتُكَ الْيَوْمَ مَدِينَةً حَصِينَةً وَعَمُودَ حَدِيدٍ وَأَسْوَارَ نَحَاسٍ عَلَى كُلِّ الْأَرْضِ... فَيَحَارِبُونَكَ وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَيْكَ، لِأَنِّي أَنَا مَعَكَ، يَقُولُ الرَّبُّ، لِأَنَّكَ" (إرميا ١: ١٨-١٩).

محبة بولس الرسول

كان حبه الجيَّاش لله والناس هو النقطة الثانية التي دعت ذهبي الفم لأن يلقي نظرة على شخصية بولس الرسول ليكتشف فيها أوجه هذه المحبة المختلفة.

إن بولس الرسول كان يمتلك في ذاته طبيعة نارية وقد لاحظ ذهبي الفم هذا خصوصاً في الحديث الرابع عندما اقتبس ما أشار به بولس الرسول عن اضطهاده للمسيحيين في رسالة غلاطية فعلق عليه بقوله: "فبسبب هذا العنف المميز والطاغي الذي له، كان بولس محتاجاً للجام قوي جداً، ثم لكي لا يرفض كلمات الله له، ردع الله حميته الغبية هذه بجعله أعمى وعند تلك اللحظة كَلَّمَ ٠٠ " (حديث ٤:٢). فبمجرد أن التقى شاول الطرسوسي بالرب المتجلي ونال المعمودية، حتى وضع هذه الطبيعة النارية في خدمة المحبة: سواء كانت هذه المحبة نحو الله الذي تجلَّى حبه لنا (نحن البشر) في تجسد ابنه، أو سواء كانت المحبة تجاه الناس الذين اشتراهم الله بدم يسوع المسيح. وقد تحدث ذهبي الفم في الحديث الثاني عن محبة بولس الرسول لله والتي كانت هي الكنز الذي لا يفنى، فقال: "إنه بدون هذا الحب لا يتمنى أن يأخذ موضعاً: لا بين القوات ولا بين السلاطين والرؤساء، بل على ولا العكس إنه بهذا الحب يفضل بالأحرى أن يكون آخر الكل وبين الذين ينهال عليهم التأديب (انظر ٢كو ٦:٩) على أن يُحرم من هذا الحب ويكون بين العظماء العلويين (السماويين) ٠٠ " (حديث ٤:٢).

وقد تحدث ذهبي الفم أيضاً بولع عن حب الله للبشر فقال في الحديث الثاني: "الله لا يحبنا كمحبتنا الهزيلة له، بل هو

يحبنا بدرجة لا تستطيع الكلمات أن تجيد التعبير عنها" (حديث ٧:٢) فهي تفوق كل محبة بشرية سواء محبة الأب أو الأم لأولادهم بل ومحبة الشاب لزوجته الشابة.

إن بولس الرسول ويوحنا ذهبي الفم كانا بمثابة قلبين أعطيا بالحق وبغيرة شديدة كل حبهما للمسيح.

النعمة والجسارة في قلب بولس

دخل القديس يوحنا ذهبي الفم إلى أعماق مسيحية وبشرية شخصية بولس الرسول واكتشف فيها منابع همته ومحبته، إذ اعتنى جيداً بالإشارة إلى أن هاتين الفضيلتين لم تكونا ثمرة لإرادته الشخصية بمفردها، بل هما أيضاً ثمرة لعمل الله. وقد أشار ذهبي الفم مرات كثيرة في هذه الأحاديث إلى الحضور والتأثير المترامن لكلا القوتين في قلب بولس، ففي خاتم حديثه الثاني قال: "أنا أعجب بقوة الله وأندهش لغيرة بولس، فهو من ناحية نال مثل هذه النعمة العظيمة، ومن ناحية أخرى أعد نفسه جيداً لنوالها" (حديث ٩:٢)، وقال في الحديث الخامس: "إن هذا الإنسان امتك إلى أقصى درجة كلا الكنزين: المواهب التي تأتي من روح الله والقوى التي تأتي من الإرادة الشخصية" (٣:٥)، والصيغة الأكثر تعبيراً وجدت في الحديث السابع إذ يقول: {فمن أين أتت هذه العظمة؟ إنها أتت من نفسه ومن الله بأن واحد. فإن كانت جاءت من الله فهي لأنها أتت من نفسه أيضاً لأن "لأن ليس عند الله محابة" (رومية ١١:٢). (حديث ٣:٧). وعندما تكلم ذهبي الفم عن تحول بولس للإيمان ركز على أن الله سيظل سيداً

لِيَسْمَعَ دَعْوَتَهُ فِي اللَّحْظَةِ الَّتِي يَرَاهَا مُنَاسِبَةً فَقَالَ: { لَا تَكُنْ فَضُولِيًّا لِحَوْحًا، لَكِنْ اتْرُكْ لِلْعَنَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ غَيْرِ الْمَدْرَكَةِ الْإِهْتِمَامَ بِاخْتِيَارِ الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ. } (حَدِيثٌ ٤: ٣)، ثُمَّ اقْتَبَسَ بَعْدَ ذَلِكَ مُبَاشَرَةً الْعِبَارَةِ الشَّهِيرَةِ لِبُولَسَ وَالَّتِي أَشَارَ فِيهَا إِلَى أَيْةٍ دَرَجَةٍ كَانَتْ مَدْرَكًا لِهَذَا السِّرِّ إِذْ قَالَ: "لَكِنْ لَمَّا سَرَّ اللَّهُ الَّذِي أَفْرَزَنِي مِنْ بَطْنِ أُمِّي وَدَعَانِي بِنِعْمَتِهِ أَنْ يَعْطَنَ ابْنَهُ فِيَّ." (غَلَا ١٥: ١٦-١٧).

فرحة بولس

لَنَرِ كَيْفَ أَدْرَكَ ذَهَبِي الْفَمِ شِدَّةَ الْفَرَحَةِ الطَّاعِيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ فِي قَلْبِ بُولَسَ وَهُوَ يَتَأَمَّلُ بِلَا تَوَقُّفٍ فِي شَخْصِيَّتِهِ. هَذِهِ الْفَرَحَةُ كَانَتْ نَابِعَةً مِنْ انْتِشَارِ الْإِنْجِيلِ وَمِنْ تَحَوُّلِ الْكَثِيرِينَ لِلْمَسِيحِ إِذْ يَقُولُ: "شُكْرًا لِلَّهِ الَّذِي يَقُودُنَا فِي مَوْكَبِ نَصْرَتِهِ فِي الْمَسِيحِ" (انْظُرْ ٢ كُورِ ١٤: ١٦، حَدِيثٌ ٣: ٦-٧). وَعِنْدَمَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ السَّفِينَةِ الَّتِي حَمَلَتْهُ إِلَى رُومَا كَانَ مُقْبِداً بِالسَّلَاسِلِ، لَكِنَّهُ كَانَ مُمْتَلِئاً فَرَحًا كَمَا لَوْ كَانَ مَرْسِلًا لِقَضَاءِ مَهْمَةٍ هَامَةٍ جَدًّا (حَدِيثٌ ٧: ٩)، وَحَتَّى فِي رُومَا نَفْسَهَا حِينَ كَانَ بَعْضُ الرُّسُلِ الْكَذِبَةِ يَبْشُرُونَ بِالْإِنْجِيلِ بِنِيَّةٍ غَيْرِ مُسْتَقِيمَةٍ، فَلَمْ يَهْمِهِ هَذَا كَثِيرًا فَقَالَ: "سَوَاءٌ كَانَ بَعْلَةٌ أَمْ بِحَقِّ يَنَادِي بِالْمَسِيحِ" (فِي ١: ١٨) وَهَذَا اقْتَبَسَ ذَهَبِي الْفَمِ الشُّطْرَ الْأَوَّلَ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ لَكِنْ الشُّطْرَ الثَّانِي الَّذِي يَقُولُ "بِهَذَا أَنَا أَفْرَحُ بَلْ سَأَفْرَحُ أَيْضًا" احْتَفَظَ بِهِ لِيَدْوِي فِي قَلْبِهِ.

وَذَهَبِي الْفَمِ كَانَ يُسَرُّ بِأَنْ يَرْجِعَ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ إِلَى فَرَحَةِ بُولَسَ خُصُوصًا فِي ضَوَائِقِهِ، فَلَيْسَ فَقَطْ تَصَوُّرُ الْمَوْتِ كَانَ يَعْضِدُ فَرَحَتَهُ لَتَفَكَّرَهُ أَنَّهُ سَيَرَى الْمَسِيحَ آنَذَاكَ فِي نُورِهِ الْبَهِيِّ، وَحَيْثُ سَيَكُونُ فِي السَّعَادَةِ الْغَامِرَةِ مُصْحُوبًا بِعَدَدٍ مِنَ التَّلَامِيذِ الْآخَرِينَ لَهُ، بَلْ كَانَ

يطفر فرحاً وهو في وسط ضيقات هذا العالم، وقال ذهبي الفم في الحديث الثاني: {عندما كانت تضيق عليه المخاطر أو الإهانات وكل أنواع المحقرات، فإنه كان يتהל من جديد، وكتب لأهل كورنثوس قائلاً: "لذلك أُسرّ بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات" (٢كو ١٢: ١٠ - حديث ٢: ٢). نعم فإن بولس كان يتהל بضربات الشياطين ويفتخر بقيوده (حديث ٨: ٦).

يوجد بين بولس الرسول وذهبي الفم نوع من التوافق المحدد سلفاً. فكلاهما مولع بالإخلاص والحزم لما يضطلعان به من مهام، وأظهرا في حياتهما همّة عجيبة ملهمة من محبة حارة في تلقائية غير متحيزة ومبتهجة بنعمة الرب، فذهبي الفم لم يسع في كل الظروف إلا لأن يكون خالماً أميناً للمسيح، وكان يحب أن يردد دائماً القول "المجد لله على كل شيء"، وبولس الرسول كتب إلى أهل فيلبي في سجنه يقول: "الآن يتعظم المسيح في جسدي سواء بحياة أم بموت. لأن لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح" (في ٢٠: ١-٢١).

ملاحظة:

تم ترجمة هذه المقدمة عما جاء في مقدمة النص الذي ترجمناه والمذكور في مقدمة الكتاب وكذلك أضفنا إليه فقرات من نفس النص والذي موجود في سلسلة أخرى من كتب Les Peres Dans La Foi DDB. ويسعدنا في نهاية هذه المقدمة أن نقدم بضع أبيات شعر موجهة من المترجم للقديس بولس الرسول على وزن ترتيلة: خبرني يا يوحنا:

واُنْتَ يا بولس حدّثني	اضطهادك كيف كان
وكيف الربّ ظهر لك	ورأيتَه بالعيان
جاوبني يالا وقلّول لي	رد بولس وقال
نور وجهه ساطع، ساطع	أقوى من شمس النهار
وحنانه وعطفه واضح	وحبه لي بان
مش ممكن أنسى أبداً	صورته في وضوح النهار

ملاحظة: رجاء محبة الالتزام بالعناوين كما هي مكتوبة وسط السطور وبينط عريض وترك التنسيق على ما هو عليه.

العظة الأولى

سمو القديس بولس الرسول على كافة القديسين

١- لن نخطئ أبداً إذا قارنا نفس القديس بولس بمرعى تنمو فيه الفضائل، أو قارناها (أيضاً) ببستان للروح القدس، ففيه ازدهرت النعمة وفيه ظهرت تلك الروحانية الجديرة بهذه النعمة.

وبالحق عندما صار إناءً مختاراً مُطَهَّراً تماماً، فإن عطية الروح القدس قد انسكبت فيه بغزارة. وهكذا صارت لنا (نفسه) منبعاً لأنهار عجيبة ليست أربعة فقط كالتى تدفقت في الفردوس (انظر تك ١٠: ٢-١٤)، بل أكثر من هذا بكثير، وهذه الأنهار لم تتوقف عن الجريان كل الأيام، ولكنها بدلاً من أن تروي الأرض أنعشت نفوسنا لتجعلها خصبة وثمرتها هي الكمال.

أية كلمات يمكنها أن توفيه حقه؟ أية لغة يمكنها أن ترتقي إلى مستوى الفضائل التي تستوجب مدحه؟ كيف يمكننا أن نقدم مديحاً لائقاً بنفس حوت في آن واحد كل ما هو سام ونبيل عند البشر وأيضاً عند الملائكة؟! لكن هذا العجز بالتأكيد لن يكون دافعاً لنا لالتزام الصمت، بل على العكس فهذا سيجيز لنا بالأولى سبباً رائعاً حقاً للكلام. وفي الواقع إن قصورنا وعجزنا عن مديح هذا القديس لهو أكثر بهاء من آلاف الانتصارات، ذلك لأن عظمة فضائله تتجاوز مهارة اللغة وحذق التعبير.

٢- فكيف يمكننا إذن أن نصل إلى الطريقة المناسبة لمدحه؟ ذلك لن يكون إلا بإظهار - ما أكدته بالحق منذ قليل - بأن كل الفضائل المتنوعة التي يمكن رؤيتها في البشر قد اجتمعت فيه. فالأنبياء ورؤساء الآباء والرسل والشهداء قد اظهروا بعض العظمة (في بعض الفضائل)، بينما اجتمع في بولس وحده كل ما هو عظيم لدى كل واحد منهم، وقد اقتنى كل الفضائل إلى درجة لم يدركها أحد من هؤلاء الذين لهم هذه الفضائل.

القديس بولس وشخصيات العهد القديم هابيل

٣- فلنتأمل جيداً... إن هابيل قد قدم ذبيحة (تك ٤: ٤) ولهذا السبب يُذكر اسمه بوقار إلى اليوم. لكن إن قارنا ذبيحة ذاك بتلك التي قدمها بولس سوف نجد أن ذبيحة القديس بولس قد فاقتها بالحقيقة وعلت عنها علو السماء عن الأرض.

لكن ما هي الذبيحة التي تريدونني أن أكلّمكم عنها؟ إن الأمر هنا لا يتعلق بذبيحة وبذبيحة واحدة!، لأن بولس كان يقدم نفسه بالحق كذبيحة وكانت ذبيحته متجددة فهو كان يموت كل يوم (١كو ١٥: ٣١) وكان يحمل في جسده (كل حين) آلام الموت (٢كو ٤: ١٠)، كما كان يتواجه مع الأخطار بلا انقطاع، وبدون توقف كان يقرب ذبيحة طوعية، وقد أمت غرائز الجسد إلى درجة أنه لم يعد يقل شيئاً عن الذبائح الدموية التي تقدّم، بل فاقتها جميعاً، لأنه بدلاً من ذبح الغنم والبقر، كان يذبح

نفسه يومياً وبطريقة مضاعفة ولذا أستطاع أن يتجاسر ويقول: "إبني أنا الآن أسكب سكباً" (٢: ٤-٦) معطياً اسم السكيب لدمه.

٤- على أن هذه الذبائح لم تكفه، فبعد أن كرّس نفسه تماماً، قدم أيضاً كل الخليقة: الأرض والبحر والعالم اليوناني والعالم البربري، وبكلمة واحدة كرّس كل الأمم التي تحت الشمس، كما لو كان أُعطى أجنحة واجتازها كلها، بل لم يكتف بالعبور فيها، وإنما في اجتيازه لها كان يقتلع منها الخطايا مع أشواكها لكي يغرس بدلاً منها حياة التقوى الحقيقية وينتزع جذور الضلال ويقيم الحق محولاً البشر إلى ملائكة، وماذا أقول؟! إنه جعل الشياطين ملائكة، فهكذا كان حال البشر (آنذاك).

وفي تذكره لليوم الذي سينحل فيه عن العالم بعد أن جاز أتعاباً كثيرة وأحرز انتصارات عديدة، شدد تلاميذه بهذه الكلمات: "لكنني وإن كنت أسكب أيضاً على ذبيحة إيمانكم وخدمته أُسر وأفرح معكم أجمعين. وبهذا عينه كونوا أنتم مسرورين أيضاً وافرحوا معي" (في ١٧: ٢-١٨).

فأيه ذبيحة إذن يمكنها أن تعادل ذبيحته طالما أن السكين الذي أسك به كان هو سيف الروح القدس (أف ٦: ١٧)، وطالما أن المذبح الذي سيقدم عليه الذبيحة (كائن) في أعلى السموات؟

نعم لقد قُتل هايل غداً بواسطة قايين (تك ٤: ٨)، وهذا يُحسب له مجداً. لكنني لا أستطيع أن أحصي لكم ربوات المينات التي ماتها

الطوباوي بولس لأنها تُقدَّر بعدد الأيام التي جازها في الكرازة بالإنجيل.

وإن أردتم أن تقيّموا ذبيحة هابيل التي بلغت هذه المرة إلى حد خبرة الموت نفسها، فسترون كيف أن هابيل سقط تحت ضربات أخيه قايين مع أنه لم يكن قد ظلم قايين في شيء بل إنه قد أسبغ عليه كثيراً من الإحسانات، هكذا أيضاً بولس كان ضحية لأولئك الذين اجتهد أن ينتزع منهم الشرور الكثيرة والذين من أجلهم قد احتمل كل تجاربه.

نوح

٥- ستقولون لي: نوح كان رجلاً باراً كاملاً في وسط جيله ولم يوجد من يماثله (تك ٦: ٩)، أقول لكم إن بولس أيضاً كان هو الوحيد الذي له مثل هذه القداسة في وسط جيله.

نوح نجا هو وأولاده فقط، لكن بولس إذ رأى كارثة مخيفة جداً محدقة بالعالم، لم يجمع ألوأحاً خشبية لكي يصنع منها فلكاً، بل أعدّ رسائله وخلص بها - من وسط الأمواج (والتيارات العالمية) - ليس فقط اثنين أو ثلاثة أو خمسة من أقاربه، بل خلص المسكونة التي أوشكت على الغرق في وسط العاصفة. لأن فلكه لم يُصنع ليذهب ويجئ في منطقة واحدة، بل ليصل إلى أقصى أطراف الأرض، ومنذ ذلك الوقت وحتى أيامنا هذه لم يتوقف الرسول عن إدخال كل الناس (الذين يريدون الخلاص) إلى هذا الفلك. وهو قد بناه بقدر يتناسب مع (قائمة) الذين يخلصون ويستطيع أن يستقبل فيه الناس الأقل تعقلاً من

الحيوانات ويجعلهم قادرين على منافسة الملائكة ومؤكداً بذلك سمو هذا الفلك عن ذاك الذي لنوح.

كان نوح قد قبل غراباً (تك ٨: ٧) وتركه يخرج كما هو (غراباً)، وأوى نئاباً ولم يغير من طباعه الوحشية، أما بولس فهو على العكس قد قبلهم وهم نئاب وصيرهم حملاناً، قبلهم نسوراً وصقوراً (أي جوارح) وحولهم إلى حمام وديع. وجرّد الطبيعة البشرية من حماقتها ووحشيتها وغرس فيها عنوبة الروح القدس، وهكذا استمر هذا الفلك في المسير دون أن يتفسخ. وبدلاً من العواصف التي يثيرها الشر لتأتي إلى تمزيق ألواحها، فهو بالأحرى له قدرة أن يقهر الأمواج ويكسر حدة العاصفة. وهذا شيء يفوق الطبيعة لأن ألواحها ليست مطلية بالزفت أو القار بل ممسوحة بالروح القدس.

إبراهيم

٦- ستقولون لي: لقد كان إبراهيم محلّ إعجاب الجميع، لأنه ما أن سمع هذه الكلمة: "أذهب من أرضك ومن عشيرتك" (تك ١٢: ١) حتى تخلى عن وطنه وبيته وأصدقائه وعشيرته وفضل أمر الله على الكل.

نعم، ونحن أيضاً بدون شك نعجب به، لكن من يستطيع أن يضعه على نفس المستوى مع بولس؟ الذي لم يتخل فقط عن وطنه وبيته وعشيرته بل تخلى أيضاً عن العالم كله لأجل يسوع. ولنذهب أبعد من هذا فنقول إنه لم يعط وقاراً بالسماء وسماء السموات.

ولم يطلب إلا شيئاً واحداً ألا وهو محبة يسوع. اسمعوه وهو يشرح لكم هذه المحبة في قوله: "لا أمور حاضرة ولا مستقبلية ولا علو ولا

عمق ولا خليفة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله" (رو ٨: ٣٨-٣٩).

سئولون لي: إن إبراهيم واجه المخاطر لكي ينقذ ابن أخيه من أيدي الغرباء (تك ١٤: ١٢-١٦)، وهل أنقذ بولس ابن أخيه فقط؟ هل أنقذ مدينتين أو ثلاثة فقط؟ لا، بل الأرض كلها وليس من أيدي الأعداء وحسب، بل أيضاً من أيدي الشياطين، معرضاً نفسه يومياً لأخطار لا تُعدّ ولا تُحصى، وصار ضامناً لخلاص الكثيرين بثمر موته هو شخصياً كل يوم.

لكن سئولون لي: ألم يبلغ إبراهيم بتضحية ابنه أعلى درجات الفضيلة ومنتهى الحكمة؟ وهنا أيضاً سترّون أن بولس له سبق في ذلك فهو قد ضحى ليس بالابن فقط، بل بنفسه ربوات المرات كما سبق وقلت لكم.

إسحق

٧- ما الذي يعجبكم في إسحق؟ هل في فضائله الكثيرة وبالأخص صبره على المتعدين عليه؟ إنه حفر آباراً (تك ٢٦: ١٥-٢٢)، وطرد من الأراضي التي كانت له واحتمل هذا دون أن ينتقم لنفسه، بل على العكس عندما رأى آباره تُردم احتمل ذلك بثبات وانتقل على الفور إلى موضع آخر، وبدلاً من أن يواجه الذين يضايقونه، اعتزل عنهم وترك لهم الأراضي (والآبار) حتى ترتوي نفوسهم الظامئة. لكن انظروا لبولس فإنه لم يكن له آبار بل لما رأى الأحجار تنهال على جسده ليس فقط لم يعتزل كما فعل إسحق بل على النقيض من ذلك ذهب إلى

الذين رجموه، مريداً بكل قوة أن يرفعهم إلى السماء. وبقدر ما اجتهد أعداؤه في طمّ هذا النبع، بقدر ما تدفق بحيوية أكثر وفاض التيار الذي يغذي صبره.

يعقوب

٨- وما الذي يعجبكم في يعقوب ابن إسحق؟ ألم يمدح الكتاب ثباته؟ لكن أي نفس صلبة كالماس يمكنها أن تتأفف صبر بولس؟ فهو الذي لم يبع نفسه لمدة أربع عشرة سنة فقط (تك ٢٩: ١٥-٣٠)، بل صار عبداً لعروس المسيح (الكنيسة) كل أيام حياته، ولم يأكله فقط حر النهار وصقيع الليل بل احتمل عواصف التجارب التي لا تحصى، طوراً في جلدات (أع ١٦: ١٩-٤٠؛ ٢كو ١١: ٢٤-٢٥)، وطوراً في رجم (أع ١٤: ١٩؛ ٢كو ١١: ٢٥)، وطوراً حارب ضد الوحوش (١كو ١٥: ٣٢)، وطوراً صارع مع البحر (٢كو ١١: ٢٥، ٢٦)، وكان فريسة لجوع متواصل بالليل والنهار وبالمثل فريسة للبرد (٢كو ١١: ٢٧)، وكان يقفز في خفة ورشاقة لينتزع الخراف من بين براثن الشيطان.

يوسف

٩- وماذا عن يوسف؟ ألم يكن عفيفاً (تك ٣٩: ٧-٢٠)؟ لكن أخشى أن أسيئ إليه إن قارنته من هذه الوجهة ببولس، ذاك الذي صلب نفسه للعالم والذي نظر ليس فقط للأجساد على أنها تراب أو رماد، بل أيضاً لكل الأشياء التي تراها بالعين، وجعل نفسه كمائن عند رؤيته لأجساد أخرى، واهتم بعناية كثيرة أن يهدئ من هجمات الطبيعة ولم يترك نفسه يتأثر قط بأية أهواء بشرية.

أيوب

١٠- ألم يُصَب أيوب كل الناس بالدهشة؟ فقد كان باراً تماماً ومجاهداً صنديداً (في الفضيلة) ويمكن مقارنته ببولس بسبب صبره ونقاوة حياته، وبسبب الشهادة التي شهد بها الله عنه، ثم بسبب هذا الجهاد الشديد والنصرة العجيبة التي أعقبته.

وماذا نقول عن بولس؟ ألم يجاهد ليس فقط لشهور عديدة، بل لسنوات كثيرة. إنه لم يهادن تراب الأرض بخطواته ولم يبق جالساً على الرماد (أي: ٢: ٨)، بل هاجم الأسد غير المرئي في عرينه وبلا توقف جاهد ضد تجارب لا تُعد، وكان ثابتاً أكثر من أية صخرة ولم يحتمل التوبيخات (والتعابير) من ثلاثة أو أربعة أصدقاء (كأيوب) بل من كل الإخوة الكذبة الذين لم يؤمنوا، متعرضاً لبصاقهم وإهاناتهم.

١١- إن أيوب الصديق قد مارس بكثرة ضيافة الغرباء؛ ألم يهتم كثيراً بالفقراء والمحتاجين (أيضاً)؟ نعم!، نحن لا نستطيع أن ننكر هذا ولو أننا نؤكد أن هذا الاهتمام لم يرق إلى مرتبة اهتمام بولس الرسول بالمعوزين. وفي الواقع إن ما أظهره الأول من جهة الاهتمام بالعاهات الجسدية، أتمه الثاني بالنسبة لجروح النفس، مقوماً كل من كان عقله مشلولاً أو عاجزاً، ومن كان عارياً من حشمة الفضيلة، كساه بلباس الروحانية المسيحية. وحتى إذا تكلمنا على المستوى المادي نجد أن بولس كان متوقفاً على أيوب. فإن كانت هناك كرامة عظيمة لمن يغيث المحتاجين، إلا أنه عندما يزرع بولس نفسه تحت نير الفقر والجوع، يكون بذلك أفضل من الذي يعطي من فضلته. وعلاوة على ذلك إن كان أيوب

قد فتح أبواب بيته أمام كل قادم، فإن قلب بولس قد اتسع ليشمل كل الأرض ويقبل جميع الناس. لهذا السبب قال أيضاً: "لستم متضييقين فينا بل متضييقين في أحسائكم" (٢كو٦: ١٢). فأيوب كان كريماً مع المحتاجين والفقراء من قطاعان ماشيته وأغنامه الكثيرة، أما بولس الذي لم يكن يمتلك سوى جسده فقط، فقد أنجد به المحتاجين وهتف: "حاجتي وحاجات الذين معي خدمتها هاتان اليدان" (أع ٢٠: ٣٤)، وكان يغيث من عائد عمله الشخصي كل من افترسه الجوع وأنهكه.

١٢- لكن هل كان الدود والقروح هما سبب أتعاب وآلام أيوب التي لا تحتمل؟

نعم وأنا أقرّ بهذا، إلا أنك لو وضعت أمامهما الجلادات التي احتملها بولس على مدى سنوات كثيرة، والجوع المتواصل والعري والقيود والسجن والمخاطر والمكائد التي حاكها له أهل عشيرته والغرباء والطغاة وكل الأرض، وبخلاف هذا التجارب الأكثر وحشية أيضاً. هذا بالإضافة إلى معاناته النفسية لتفكره فيمن سقطوا والاهتمام بكل الكنائس، واللهيب الذي كان يأكل قلبه عندما يتفكر في الذين عثروا (٢كو ١١: ٢٨-٢٩)، سترى كيف أن النفس التي احتملت هذه التجارب كانت أكثر صلابة من الصخر وأنها فاقت الحديد والماس. وفي الحقيقة إن ما عاناه أيوب في جسده، جازه بولس في نفسه، فالغيرة والاهتمام للذين كانا يشتعلا في داخله بقسوة بالغة من أجل الذين عثروا لا يضاهيه أبداً الدود الذي كان يعاني منه أيوب في جسده. لهذا السبب كان بولس يسكب الدموع دوماً ليس فقط أثناء النهار بل أيضاً أثناء الليل (أع ٣١: ٢٠؛ ٢كو ٢: ٤) وفي آلام أكثر حدة

من آلام المخاض، كان قلبه يتمزق أثناء تفكره في كل واحد من أولاده الذين سقطوا، فلذلك هو يقول: "يا أولادي الذين أتمخض بكم إلى أن يتصور المسيح فيكم" (غلا: ٤: ١٩).

موسى

١٣- وبعد أيوب من يمكنه أن يدهشنا؟ بالتأكيد إنه موسى النبي. لكن حتى موسى فإن بولس فاقه جداً. فمن بين الفضائل العظيمة التي للنفس البارة لهذا النبي هو رغبته أن يُحى اسمه من سفر الله لكي ينفذ اليهود (من الهلاك). موسى قد اختار أن يهلك مع الآخرين، أما بولس فلم يشأ أن يهلك معهم، بل فضل أن يُحرم وحده من المجد الأبدي شريطة أن يخلصوا هم (رو ٩: ٣).

بالإضافة إلى هذا إن كان الأول قد حارب (عماليق) فإن الثاني كان يصارع يومياً ضد الشيطان، وإن كان الأول قد أخذ على عاتقه مسئولية الدفاع عن أمة واحدة فقط، فالآخر قد اهتم بخلاص العالم كله، وكان جسده يقطر ليس عرقاً بل دماً بدلاً من العرق، لكي يضع على الطريق المستقيم ليس فقط العالم المأهول بالسكان بل أيضاً المناطق غير المأهولة، وليس فقط العالم اليوناني (المتحضر)، بل أيضاً عالم البرابرة (المتخلف).

داود وإيليا ويوحنا المعمدان

١٤- ويمكننا أيضاً أن نقارنه ببشوع وصموئيل والأنبياء الآخرين. ولكن لكي لا يطول الحديث، فسندرج لمن لهم المرتبة الأولى بينهم،

لأنه عندما يظهر تفوق بولس - بكل تأكيد - عليهم، فلن يعد هناك مجال للجدال بالنسبة للآخرين. فمن هم هؤلاء الطلائع؟.

بعد الذين ذكرناهم لا يوجد غير داود وإيليا ويوحنا المعمدان، والاثنتان الأخيرين كان الواحد منهما هو السابق لمجيء الرب الأول، كما سيكون الآخر عند مجيء الرب الثاني، ولهذا السبب فقد تشاركاً في نفس الاسم.

فما هي إذاً الصفة المميزة لداود؟ هل تواضعه أو محبته لله؟.

فمن الذي فاق بولس أو حتى تساوى معه في ممارسة هاتين الفضيلتين دفعة واحدة؟.

وما الذي يثير الإعجاب في إيليا؟ هل إغلاقه للسماء وجلبه للمجاعة وإنزاله النار من السماء؟ بالنسبة لي أنا لا أعتقد هذا، لكن الذي يثير الإعجاب هو الغيرة التي أظهرها للرب انظر (١٩: ١٠) وحرارته التي تفوق حرارة النار.

فإن نظرتهم لغيرة بولس سترون أن الرسول متفوق على النبي، كتفوق النبي على الآخرين. فمن يمكنه أن يجد كلمات معادلة للكلمات التي نطقها بولس في غيرته على مجد الرب إذ قال: "إني كنت أود لو أكون أنا نفسي محروماً من المسيح لأجل إخوتي أنسبائي حسب الجسد" (رو ٩: ٣). لهذا السبب بينما كانت السماء في انتظاره بأكاليلها ومكافأتهما، فإنه تردد وتباطأ قائلاً: "لكن أن أبقى في الجسد ألزم من أجلكم" (في ١: ٢٤)، كما أن العالم المرئي الحاضر نفسه والعالم الروحي الآتي لم يكونا كافيين لإظهار مدى حبه وغيرته ولذلك فقد

تخيل عالماً آخرًا غير موجود (انظر رو٨:٣٩) لكي يظهر اشتياقاته ورغباته.

ألم يأكل يوحنا المعمدان الجراد والعسل البري (مت٤:٣)؟ أما بولس فقد عاش وسط العالم حياة النسك التي عاشها في البرية، وبدلاً من أن يغتذي بالجراد والعسل البري، كانت أيضاً مائتته أكثر بساطة وكان يعوزة أيضاً الغذاء الضروري الذي كان يناسب حرارته (وما يبذله من جهد جسدي) في البشارة بالإنجيل.

ألم يبرهن يوحنا على منتهى الشجاعة عندما تكلم في محضر هيرودس؟ حسناً فبنفس الطريقة أسكت بولس أفواه ليس واحداً أو اثنين أو ثلاثة بل طغاة كثيرين من هذا النوع بل ومن كانوا مخيفين جداً أكثر منهم.

القديس بولس والملائكة

١٥- لم يعد يتبقى أمامنا إلا أن نقارنه بالملائكة. لهذا السبب نترك الأرض ونصعد إلى قباب السموات وأرجو ألا يتهم أحد حديثنا بالجسارة. لأنه إن كان الكتاب قد أعطى ليوحنا لقب ملاك (مت ١١: ١٠)، وكذلك الكهنة (ملا ٢: ٧)، فأني شيء يثير الدهشة في مقارنتنا بولس المتقدم في الفضيلة على سائر الناس بالقوات السماوية؟ ف فيما تكمن إذن عظمة الملائكة؟

إن عظمتهم تكمن في طاعتهم التامة لله، وهذا هو بالتحديد ما نقله داود لنا بقوله: "ملائكته المقتدرين قوة الفاعلين أمره" (مز ١٠٣: ٢٠). ولعل هذا ما يجعلهم خارج المقارنة، فضلاً عن طبيعتهم (في حد ذاتها)

لكونهم خليفة غير مادية. نعم هذا ما يجعلهم فوق كل طوباوي أرضي وهذا ما يجعلهم يطيعون الوصايا الإلهية ولا يمتنعوا عن تنفيذها أبداً.

يمكننا أن نؤكد أيضاً بيقين أن بولس قد راعى هذه الطاعة بتدقيق شديد. وليس فقط كلمة الله هي التي مارسها باجتهاد، بل أيضاً كل وصاياه وأكثر من وصاياه، وهذا ما أظهره بقوله: "فما هو أجري إذ وأنا أبشر أجعل إنجيل المسيح بلا نفقة" (١كو ٩: ١٨).

أية صفة أخرى مثيرة للإعجاب أشار إليها النبي في حديثه عن الملائكة؟ "الصانع ملائكته رياحاً وخدامه ناراً ملتهبه" (مز ١٠٤: ٤).

حسناً ... يمكننا أن نؤكد نفس الشيء من جهة بولس. فهو بالحق قد طاف مثل الريح والنار، الأرض كلها وطهر العالم. لكم ألم يصعد أيضاً إلى السماء؟ هذه هي النقطة المثيرة للإعجاب وهي أنه أثناء حياته الأرضية وبينما هو ملتحف بجسد مائت نافس القوات الملائكية.

تحذير أخير

١٦ - أية دينونة نستحقها نحن إذاً، عندما نجد إنساناً بمفرده كانت له كل هذه الفضائل مجتمعة ونحن لم نجتهد في الإقتداء به ولو في أقل القليل؟.

حسناً... فلنتفكر في هذا حتى ننجو من هذه الدينونة ولنسعى للوصول إلى غيرة بولس حتى يمكننا نحن أيضاً أن نفتني نفس الخيرات (الأبدية) بنعمة ومحبة ربنا يسوع المسيح الذي له المجد والقوة الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

العظة الثانية

القديس بولس الرسول نموذج فائق للفضيلة
محبه من جهة المسيح - الفضيلة البارزة عند بولس

١- ما هو الإنسان؟ وإلى أين يذهب نبل طبيعتنا؟^١ وأية فضيلة عظيمة أظهرها - أكثر من الكل - بولس ذلك الكائن الحي؟ منذ ظهوره وإلى يومنا هذا وهو يقف (هناك) مدافعاً عن سيده بصوته المتوي مقابل أولئك الذين يوجهون له اللوم لخلفته لنا على النحو الذي نحن عليه، ناصحاً بالفضيلة، مُسكّناً فم المجنّفين الوقحين، ومبيّناً لهم أنه لا يوجد فرق عظيم بين البشر والملائكة، لو أردنا أن نكون ساهرين على أنفسنا.

القديس بولس لم تكن له طبيعة أخرى غير طبيعتنا، ولم تكن نفسه مختلفة عن التي لنا، ولم يسكن عالماً آخر غير عالمنا. لكنه تربى في نفس الأرض ونفس الوطن (الإمبراطورية الرومانية) وبنفس القوانين ونفس العادات، ولكنه فاق كل الناس منذ أن وجد بشر على الأرض.

أين هم الذين يقولون إن الفضيلة صعبة والرنيلة سهلة؟ إن بولس يفهمهم بقوله: "لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجداً أبدياً" (٢كو ٤: ١٧). فإن كان قد تكلم عن المحن على أنها خفيفة، فبالأحرى جداً تكون الميزات التي نختبرها أكثر خفة.

١ - المقصود من هذه العبارة: أي إلى أي مدى يمكن أن يمضي أقصى ما في طبيعتنا البشرية من نبل؟

فضيلة خالية من الغرض

٢- وما يثير الإعجاب في شخص بولس، ليس فقط عدم مبالاته بالأتعاب التي يجوزها للوصول إلى الفضيلة لفرط غيخته، بل أيضاً عدم سعيه إليها من أجل المكافأة. أما نحن فرغم أن المجازاة قائمة أمام أعيننا، فنحن لا نحتمل الأتعاب لاقتنائها. القديس بولس على العكس من ذلك كان يلتصق بالفضيلة ويحبها دون أن يفكر في المجازاة أو العوائق التي تعترض طريق الفضيلة. لأنه بقفزة واحدة كان يتخطاها بمنتهى السهولة. إنه لم يتعلل لا بالضعف الجسدي ولا بكثرة المشغوليات أو بطغيان الطبيعة (البشرية) أو بأي شيء آخر. لاشك أنه كان متقلاً باهتمامات كثيرة تفوق كل اهتمامات القادة العسكريين وجميع ملوك العالم، ومع ذلك كان يتربع على قمة القداسة كل الأيام. وعندما ازدادت المخاطر حوله كان يتقدم إليها بحرارة وغيره زائدة، وقد عبّر عن هذا عندما قل: "أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام" (في ٣: ١٣). وكان يشتاق إلى الموت ولذا كان يدعو للمشاركة في هذه الفرحة بقوله: "كونوا أنتم مسرورين أيضاً وافرحوا معي" (في ٢: ١٨)، وعندما كانت تضيق عليه المخاطر أو الإهانات وكل أنواع المحقرات، كان يتهازل من جديد وكتب لأهل كورنثوس قائلاً: "لذلك أسرّ بالضعفات والشوائم والضرورات والاضطهادات" (٢ كو ١٢: ١٠).

٣- دعا القديس بولس التجارب بأسلحة البر (٢ كو ٦: ٧) مُظهراً كيف أستطاع أن يجمع بها ثماراً كثيرة الأهمية، وهكذا لم يستطع أعداؤه أن يتغلبوا عليه بأيّة طريقة. فكان في كل موضع يُضرب ويُهَان ويُسَاء إليه مع أنه كان يتقدم بمهابة كما في موكب انتصاري

وينصب على الأرض أقواس انتصارات متوالية، فيمجد الله قائلاً:
"شكراً لله الذي يقودنا في موكب نصرته" (٢كو ٢: ١٤).

إنه سعى إلى الخزي والمهانة بسبب الكرازة بالإنجيل أكثر من
سعيانا نحن للكرامات، واشتاق للموت أكثر من اشتياقنا للغنى، وطلب
الأتعاب أكثر من طلب الآخرين للراحة. وليس هذا فقط بل أكثر جداً
من هذا، إذ سعى أيضاً للضييق أكثر من سعي الآخرين للفرح، وقام
بالصلاة لأجل أعدائه بدلاً من لعن الآخرين لهم.

إنه بذلك قلب كل الأشياء رأساً على عقب، أو بالأحرى نحن الذين
قلبناها، بينما الترتيب الذي أقامه الله حفظه بولس كما هو. وعلى
عكس موافقنا، فإن كل المواقف التي له كانت هي المواقف التي توافق
الطبيعة. ولكن كيف يمكن التأكد من هذا؟ بالرغم من أن القديس بولس
كان مجرد إنسان إلا أنه كان يجري ويركض نحو الضيقات أكثر جداً
من سعيه نحو المسرات.

حبه المتألق جداً للمسيح

٤ - الشيء الوحيد الذي كان يخافه ويهرب منه القديس بولس هو
أن يحزن الله، وعلى عكس ذلك كان لا شيء آخر يبدو مستحباً له
مثل إرضاء الله، وعندما أقول لا شيء لست أقصد فقط خيرات هذا
العالم الحاضر بل خيرات العالم الآتي أيضاً.

لست أتكلم عن مدن وشعوب وملوك وكتائب جيش وعن الغنى
وكرامات الولاة أو الحكام، لأن كل هذه الكنوز لا تساوي في عينيه
شيئاً. لكنه وضع أمامه - على العكس - الخيرات السماوية نفسها

وسترى حرارة حبه للمسيح. فمن جهة هذا الحب لم يكن هذا الإنسان ليقنع بكرامة الملائكة أو رؤساء الملائكة أو أي شيء آخر من هذا القبيل؛ لأن الكنز الذي يملكه في قلبه هو أكثر غني من كل شيء، أعني كنز محبته للمسيح، فبهذا الحب اعتبر نفسه أسعد كل الناس، وبدون هذا الحب لم يرغب في أن يكون له موضعاً: لا بين القوات (السماوية) ولا بين السلاطين والرؤساء (الأرضيين) لقد فضل بهذا الحب أن يوجد بالأحرى آخر الكل، بين صفوف المجهولين والذين يتألمون (انظر ٢كو ٩: ٦) على أن يُحرم من هذا الحب ويكون بين العظماء وأصحاب الكرامات.

٥- الأمر الوحيد الذي كان يخشاه هو فقدان هذا الحب. كان يُسرّ جداً بالنار والعذابات والتجارب التي لا تُعد، لأنها كانت الطريق للحصول على هذا الحب، الذي هو في نظره أعلى من الحياة، بل وأثمن من الكون كله، وأعظم من كل طغيمات الملائكة والأشياء الحاضرة، بل أجل من كل الخيرات الأبدية. وبالنسبة للأمور التي تمنعه عن الوصول إلى هذا الغرض (وهو محبته للمسيح)، لا شيء (في الأرض) يبدو له مكدرًا أو محبوبًا، فقد احتقرها كلها: الخيرات المادية أصبحت عنده كعشب ذابل، وصار كل الطغاة والأشرار أمامه كالبعوض، وصار الموت والعذابات وكل العقبات التي يمكن أن تصادفه مثل دمي الأطفال، لأنه قد احتملها جميعاً لأجل المسيح، لأنه أحب كل هذه التجارب وكانت القيود التي تكبل يديه أكثر جمالاً عنده من التاج الذي يزين رأس نيرون. وهو عاش في السجن تماماً كما لو كان في السماء، وقبّل الجروح وجلدات السياط بمسرة أكثر ممن يفوزون بجائزة المباراة. وقد أحب التعب بقدر أكبر من المكافأة، ومن

منطلق هذا الفكر استعذب الأتعاب فكانت بالنسبة له مجازاة، ولهذا السبب دعاها أيضاً هبة (انظر في ٢٩:١).

في التجارب والبلايا

٦ - لتأمل جيداً في هذه الأشياء عن قرب.

لقد كانت مكافأة له أن ينطلق من هذا العالم لكي يبقى مع المسيح، أما البقاء في الجسد (في ٢٣:١-٢٤) فكان هو الجهاد بعينه، ومع أنه فضل الواقع الثاني على الأول، لكنه أكد أنه أكثر إلحاحاً بالنسبة له. لكن أن يكون محروماً ويفصل عن المسيح، فهذا كان بمثابة الشقاء نفسه والقلق عينه (بالنسبة له)، بينما أن يكون مع المسيح فهذه كانت المكافأة، ومع هذا فقد فضل الاختيار الأول (أي حرمانه من المسيح) على الثاني لأجل المسيح (انظر رو ٩:٣). لكن يمكن القول إن هذا أيضاً كان مستحباً له لأجل المسيح. حسناً، وأنا أيضاً أعلن أن الأمور التي نعتبرها دافعاً لنا لليأس، كانت هي نفسها سبب مسرة عظيمة له.

لكن لماذا التحدث عن الأخطار والبلايا الأخرى؟ إن بولس كان في قلق وهذا نستنتجه من هذه الكلمات: "من يضعف وأنا لا أضعف. من يعثر وأنا لا ألتهب؟" (٢ كو ١١: ٢٩). وكثير من الناس الذين فقدوا أولادهم لو أمكنهم أن يبكوا كيفما شاءوا فسوف يجدون في ذلك تعزية لهم، لكن على العكس لو تم منعهم عن البكاء فهو يتألمون أكثر. كذلك بولس بالحق كان يجد تعزيته في بكائه الليل والنهار (انظر أع ٢٠: ٣١) لأنه لا يوجد من حزن (وبكى) على بلايا الشخصية أكثر من حزن (وبكاء) بولس على الآخرين. ألم

تروا مدى الحزن الذي يعتصر قلبه عندما يتفكر في هلاك اليهود،
 ذاك الذي من أجل خلاصهم تمنى أن يُحرم من المجد السماوي؟
 (انظر رو ٩: ٣). بكل تأكيد كان مجرد تخيل هلاكهم يسبب له تعباً
 كثيراً. ولو لم يؤرقه هذا المصير ما كان نطق بهذا التمني، فمثل
 هذا الاختيار - إن جاز القول - كان أخف نقلاً عليه وأكثر عزاءً
 بالنسبة له، لأن هذه الرغبة التي صرّح بها لم تكن مجرد طريقة
 عادية للكلام، بل إنه ذهب حتى إلى التصريح بقوله: "إن لي حزناً
 عظيماً ووجعاً في قلبي لا ينقطع" (رو ٩: ٢).

نفس بولس

٧- بأي شيء يمكننا أن نقارن ذاك الذي كان يتألم كل الأيام لأجل
 كل المسكونة بدون تمييز، لأجل شعوب ومدن، بل ولأجل كل إنسان
 بلا استثناء. أنقارنه بالحديد أم بالماس؟ أية كلمات يمكنها أن تصف
 مثل هذه النفس؟ هل هي نفس من ذهب أم بالأولى هي نفس من
 الماس؟ إن نفسه التي كانت أكثر صلابة من الماس، كانت في نفس
 الوقت أئمن جداً من الذهب ومن الأحجار الكريمة، فإن شَبَّهناها
 بالماس كانت نفس بولس تقوّه صلابة، وإن شَبَّهناها بالذهب كانت
 نفسه تقوّه في الثمن العظيم. فبأي شيء يمكن أن نقارن نفسه؟ لا
 شيء من الموجودات يمكننا أن نقارنه به. لو أمكن للذهب أن يكون
 ماساً وللماس أن يكون ذهباً لوجد - بطريقة ما - فيهما في تلك
 اللحظة الأساس لمقارنة عادلة. لكن ما المنفعة لو وضعناه في المقارنة
 مع الذهب والماس؟.

ضع العالم كله في كفة ميزان وفي الكفة الأخرى نفس بولس
 وسترى أن نفسه أثقل وزناً. فإن كان (بولس) قد عبّر بهذه الكلمات في
 حديثه عن الذين طافوا في جلود معزي وغنم عائشين في براري
 ومغائر: "بأن العالم لم يكن مستحقاً لهم" (عب ١١: ٣٧-٣٨)، وهؤلاء
 كانوا في جزء صغير من الكون، فيمكننا أن نقول هذا بالأولى جداً من
 جهته، إذ أن قيمته تعادل كل البشر مجتمعين معاً. إن كان العالم لم
 يكن مستحقاً له فمن الذي يستحقه؟ هل السماء؟ لكن هذه أيضاً لا تكفي
 وإن كان بولس فضل محبة سيده على السماء وكل خيرات السماء،
 فكم بالأولى يكون هذا السيد الذي صلاحه يفوق صلاح بولس بقرر
 تفوق الصلاح على الشر أنه يفضلّه على السموات بكثرتها. الله لا
 يحبنا كما نحبه (بحبنا الهزيل) بل هو يحبنا بدرجة لا تستطيع الكلمات
 أن تجيد التعبير عنه.

النعم الروحية التي نالها - تفوقه على الملائكة

٨- لنفحص على سبيل المثال تلك النعم التي أعتبر بولس جديراً
 بها حتى قبل القيامة العتيدة. لقد أختطف إلى الفردوس ورفع إلى
 السماء الثالثة، وشارك في أسرار لا يُنطق بها بما لم يُسمح لمن
 شاركه في الطبيعة البشرية أن يتكلم عنها (٢كو ١٢: ٢-٤). وفي حياته
 الأرضية كان يسلك كما لو كان يطوف في صحبة الملائكة، ومع أنه
 كان مربوطاً بجسد مائت، إلا أنه أظهر نقاوة تعادل نقاوتهم. ومع أنه
 كان خاضعاً لمثل هذه التجارب العظيمة، لكن كان له قلب لا يقل أبداً
 عن قلب هذه القوات السماوية. وبالحق فهو طاف كل أرجاء الأرض
 كما لو كان له أجنحة، وازدري بكل الأتعاب والمخاطر كما لو كان

كائناتاً بلا جسد، واحتقر كل الخيرات الأرضية كما لو كان قد ورث بالفعل السماء (وخيراتها)، وكان على الدوام في حالة يقظة كما لو كان عائشاً أيضاً في وسط هذه القوات غير الجسدانية.

إن الملائكة بالتأكيد كثيراً ما يأخذون على عاتقهم مسئولية أمم مختلفة، لكن ليس أحد من بينهم

ساس وقاد الذي له مثلما فعل بولس للعالم كله، ولا تقل لي إن بولس لم يكن يقود الشعب بالفعل (كالإمبراطور مثلاً) لأنني أنا أرى ذلك أيضاً. ومع أنه لم يكمل هذا العمل إلى تمامه، إلا أنه بالرغم من هذه الظروف كان أهلاً للمدح اللائق الموجه له، لأنه استحق أن يُعطى هذه النعمة العظيمة.

إن كان ميخائيل قد أخذ هذه المهمة عن اليهود (دان ١٠: ١٣، ١٢ - دان ١٢: ١) فبولس أخذها عن الأرض كلها والبحر والعالم المأهول وغير المأهول.

الأعاجيب التي أتمها بولس

٩- إن كنت أتكلم هكذا عن بولس ليس لأقلل من شأن الملائكة - حاشاً لله! لكن لإظهار كيف يمكن لمن هو مجرد إنسان أن يعيش في صحبتهم ويشابههم. ولكن لماذا اضطلع بولس بهذه المهمة بدلاً من الملائكة؟.

لكي لا يكون لك أي عذر في أن تكون متوانياً ولكي لا تبقى في نومك متعللاً بضعف الطبيعة، بالإضافة إلى ذلك كيف تكون حياته

العجبية بمثل هذه العظيمة.

ألم يكن أمراً عجبياً وغير عادي أن كلمة ينطقها لسان بشري تطرد الموت (أع ٢٠: ٩-١٢)، وتكسر ربط الخطية، وتشفي رجلاً عاجز الرجلين (أع ١٤: ٨-١٠) وتحيل الأرض إلى سماء؟ لهذا السبب فأنا متعجب من قوة الله، ولهذا السبب أيضاً أنا أندهش لغيرة بولس، لأنه من ناحية نال مثل هذه النعمة، ومن ناحية أخرى أعدّ نفسه جيداً لنوالها.

حث نهائي

١٠- وأنا أحتكم ألا تكتفوا بالإعجاب، بل أيضاً أن تفتنوا بهذا النموذج الأصيل للفضيلة، وبهذه القدوة يمكننا أن نشارك في نفس الأكاليل مثله. وإن كنت تتدهش عندما تسمعي أقول إن كل من كانت له حياته كاملة له أيضاً نفس المكافأة، فاسمع بولس وهو يعبر عن هذا فيقول: "قد جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعي، حفظت الإيمان. وأخيراً قد وضع لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً" (٢ تي ٤: ٧-٨).

انظر معي، فهو يدعو الجميع لنوال نفس الإكليل. وحيث إن نفس المجازاة متاحة لكل، فلنجتهد كلنا لنصير مستحقين للخيرات العتيدة التي يعدنا الرب بها. ولنجتهد أيضاً ألا ننظر فقط لأهمية وعظم الفضائل بل أيضاً ننظر لحرارة الغيرة التي قادت بولس لنوال هذه النعمة. وفي الواقع إن نفس القديس بولس تتشابه معنا وهو قد شاركنا تماماً ظروف حياتنا. وهكذا تصبح الفضائل التي قد يصعب جداً

اقتناؤها، سهلة وهينة، ثم بعد عناء يسير في هذه الحياة نُكلل بذلك
الإكليل الخالد والذي لا يفنى بنعمة ومحبة ربنا يسوع المسيح الذي له
المجد والقوة الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

العظة الثالث

محبة بولس الرسول تجاه الناس أفضلية المحبة

١- يُظهر لنا الطوباوي بولس القوة التي يمكن أن تصاحب الإنسان وتثير حماسه كما يُظهر لنا إمكانياتنا في أن نصعد حتى إلى السماء عينها، دون أن ندعو الملائكة ورؤساء الملائكة ولا القوات السماوية الأخرى. وهو تارة يحثنا على أن نصير مقتدين بالمسيح على مثاله هو، وذلك عندما يقول لنا: "كونوا متمثلين بي كما أنا أيضاً بالمسيح" (١كو ١١: ١)، وتارة أخرى دون التكلم عن نفسه شخصياً يجعلنا نصعد مباشرة نحو الله بقوله: "كونوا متمثلين بالله كأولاد أحبباء" (أف ٥: ١)، والشيء الذي يجعل هذا الإقتداء سهلاً هو حياة المحبة التي تطلب مصلحة الكل فيضيف قوله: "اسلكوا في المحبة" (أف ٥: ٢)، وهو بعد أن قال: "كونوا متمثلين بي" فإنه عرّج في الحال على المحبة وأظهر كيف أن هذه الفضيلة هي التي تأتي بالإنسان سريعاً إلى الله.

وفي الحقيقة فإن الفضائل الأخرى هي أقل منها، ولا يمكن أن تتعدى أيّاً منها المستوى البشري، ومنها على سبيل المثال: الجهاد ضد الشهوات الجسدانية، والحرب التي نخوضها ضد الشره، والمقاومة الحادة مقابل محبة المال، والجهاد ضد الغضب. أما بالنسبة للمحبة فهي للفضيلة المشتركة بين الله والإنسان. لهذا السبب قال المسيح:

"صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات" (مت ٥: ٤٤-٤٥).

محبة بولس لمضطهديه

٢- وبولس إذ يعلم أن المحبة هي رأس كل الخيرات فإنه وضع كل اهتمامه في إعطاء البرهان على ذلك. بالتأكيد لم يحب أحد أعداءه كما أحبهم هو، ولم يعمل أحد (مثله) صلاحاً كثيراً لمن ينصبون الفخاخ، ولم يتألم أحد كثيراً (مثله) لمن أساءوا إليه، ولكن بدلاً من أن ينظر آلامه لم يفكر إلا في الروابط الطبيعية التي تربطه بهم، وكلما كانوا أكثر شراسة من جهته، كلما كان هو أكثر إشفاقاً على جنونهم. ومقتنياً بمشاعر أب تجاه ابنه الذي صار في منتهى الجنون والطيشة، فكما هاج هذا الابن بطريقة مؤذية وضرب الأرض بقدميه بطريقة شرسة، كلما أشفق الأب عليه بالأكثر وذرف دموعاً ثخينة، وبالمثل فإن بولس أيضاً إذ انكشف أمامه أن الذين يكيلون له مثل هذه الضربات هم واقعون تحت تأثير الشيطان بطريقة مفرطة، لذلك فقد ضاعف اهتمامه وعنايته بهم بالأكثر.

المحبة من جهة اليهود

٣- اسمع على سبيل المثال بأية عذوبة وبأية شفقة يحدثنا عن الذين جلدوه خمس مرات (٢ كو ١١: ٢٤) والذين رجموه (٢ كو ١١: ٢٥؛ أع ١٤: ١٩)، والذين قيدوه والذين كانوا متعطشين لسفك دمه والذين رغبوا كل يوم في تمزيقه إرباً، فيقول: "إني أشهد لهم أن لهم غيرة لله ولكن ليس حسب المعرفة" (رو ١٠: ٢).

أما الأمميون الذين يناصرونهم العداء، فإنه يمنعهم قائلاً: "لا تستكبر بل خف. لأنه إن كان الله لم يشفق على الأغصان الطبيعية فلعله لا يشفق عليك أيضاً" (رو ١١: ٢٠-٢١). وإذا علم أن حكم الرب قائم ضدهم، فإنه عمل كل ما في وسعه إذ سكب الدموع من أجلهم بدون توقف وتألّم وعارض الذين كانوا يريدون الهجوم عليهم وبقدرة الإمكان اجتهد في أن يلتمس لهم ولو عذراً وهمياً. وإذا لم يستطع أن يفتنعهم بالكلمة بسبب قلوبهم القاسية والمتحجرة فإنه التجأ - بدون توقف - إلى الصلاة، كما قال: "أيها الإخوة إن مسرة قلبي وطلبتني إلى الله لأجل إسرائيل هي للخلاص" (رو ١٠: ١)، وهو أيضاً يتخيل لأجلهم آمالاً خلاصية بقوله: "هبات الله ودعوته هي بلا ندامة" (رو ١١: ٢٩)، مريداً بهذا أن يمنع يأسهم وهلاكهم الكامل. وكل هذه الكلمات تفترض قلباً ممثلاً بالغيرة وبمحببة ملتزمة جداً لهم. ونفس الشعور تحسه عندما قال "سيخرج من صهيون المنقذ ويرد الفجور عن يعقوب" (إش ٥٩: ٢٠؛ رو ١١: ٢٦). وهو بالحققة شعر بجرح عميق في رؤيته لهلاكهم، لذلك فهو يتخيل لنفسه طرقاً عديدة لتخفيف هذا الجرح، وتارة بقوله: "سيخرج من صهيون المنقذ ويرد الفجور عن يعقوب"، وتارة أخرى بقوله: "هكذا هؤلاء أيضاً الآن لم يطيعوا لكي يرحموا هم أيضاً برحمتكم" (رو ١١: ٣١).

٤- وهذا ما فعله أرميا بالمثل بلهجة كلها أسمى مجتهداً في الدفاع بطريقة ما عن الخطاة تارة بقوله: "وإن تكن آثامنا تشهد علينا، فأعمل (يا رب) لأجل اسمك" (أر ١٤: ٧). وتارة أخرى بقوله: "ليس للإنسان طريقه. ليس لإنسان يمشي أن يهدي خطواته" (أر ١٠: ٢٣)، ويمكن

أيضاً اقتباس هذا القول: "تذكر (يا رب) أننا تراب نحن" (مز ١٠٣: ١٤).

وهذه في الواقع عادة الذين يتضرعون لأجل الخطاة حتى لو لم يكن لهم شيء مقبول يقولونه فيتخيلون على الأقل أذاراً ضعيفة، وبالتأكيد فإن هذا ليس نتيجة لمسعى جاد ولا يمكن أن يرقى أبداً إلى إقامته كقاعدة (أو تعليم) بل هو يشكل نوعاً من التعزية لمن يتألمون على من يهلكون. فلا نأخذ نحن أيضاً مثل هذه الأعدار بمعناها الحرفي، بل على العكس نأخذها على أنها لنفس ملناعة، ولمن يسعى للترافع عن الأثمة وهكذا نفهم هذه الكلمات.

محبة تجاه الوثنيين

٥- هل كانت محبة بولس هكذا هي فقط من جهة اليهود دون أن يفعل المثل من جهة الوثنيين؟ إن بولس كان له حنان جياش لا يقارن من جهة مواطنيه كما من جهة الغرباء. اسمع ما قاله لتيموثاوس: "وعبد الرب لا يجب أن يخاصم بل يكون مترفقاً بالجميع صالحاً للتعليم صبوراً على المشقات، مؤبداً بالوداعة المقاومين عسى أن يعطيهم الله توبة لمعرفة الحق فيستفيقوا من فخ إبليس إذ قد اقتنصهم لإرلاته" (٢ تي ٢: ٢٤-٢٧).

هل تريد أن تسمع للهجة التي خاطب بها الخطاة؟ اسمع ما كتبه لأهل كورنثوس: "لأنني أخاف إذا جئت أن لا أجدكم كما أريد" (٢ كو ١٢: ٢٠)، وتقريباً قال في الحال بعد ذلك: "أخاف أن ينلني إلهي عندكم إذا جئت أيضاً وأنوح على كثيرين من الذين أخطأوا من قبل ولم يتوبوا عن النجاسة والعهارة التي فعلوها" (٢ كو ١٢: ٢١).

وعندما كتب إلى الغلاطيين قال: "يا أولادي الذين أتمخض بكم أيضاً إلى أن يتصور المسيح فيكم" (غلا: ٤: ١٩). أما فيما يختص بالزاني فاسمع كيف أنه تألم أكثر منه وأي نصح وجهه بشأنه إذ قال "أطلب أن تمكّنوا له المحبة" (٢كو ٢: ٨) وعندما صرح بعدم مخالطته، فهذا فعله بدموع كثيرة وقال: "لأنني من حزن كثير وكآبة قلب كتبت إليكم بدموع كثيرة لا لكي تحزنوا بل لكي تعرفوا المحبة التي عندي ولا سيما من نحوكم" (٢كو ٢: ٤)، وأيضاً قوله: "صرت لليهودي كيهودي وللذين تحت الناموس ككفي تحت الناموس وصرت للضعيف كضعيف. صرت لكل كل شيء لأخلص على كل حال قوماً" (١كو ٩: ٢٠، ٢٢). بالإضافة إلى هذا قال أيضاً: "أريد أن أحضر كل إنسان كاملاً في المسيح يسوع" (نظر كو ١: ٢٨).

غيرته الرسولية

٦- هل رأيتم نفساً منتصرة على كل الأرض؟ كان كل ودّه وهمّه في إحضار كل إنسان للمسيح، فكان يتصرف كما لو كان أباً للعالم كله. كان يود أن يدخل كل الناس إلى الملكوت فكان يسرف في العناية بهم ناصحاً إياهم، مقدماً تمنياته، مصلياً ومتوسلاً من أجلهم، جاعلاً الشياطين يخافون، طارداً الفاسدين سواء بحضوره أو برسائله ٠٠ بأحاديثه أو بأعماله، بتلاميذه أو بنفسه هو شخصياً، مقيماً الذين سقطوا ومشدداً القائمين ومشجعاً الساقطين على الأرض (ليقوموا) ومعتبياً بكل الذين كانوا متقلين، مشدداً بصيحاته المتكاسلين للجهاد وملقياً الرعب على مقاوميه وراشقاً أعداءه بنظرات خارقة (حادّة) متشبهاً بالقائد العظيم الذي يحمل بنفسه الراية والسلاح وهو نفسه

المحارب في الصفوف الأولى، وهو نفسه مساعد الفارس وهو نفسه القائم بكل الأعمال في نطاق جيشه.

محبة بولس في المجال المادي

٧- وليست محبة الرسول قاصرة فقط على المجال بل إنه أظهر أيضاً اهتماماً عظيماً وغيره شديدة في المجال المادي. اسمعه على سبيل المثال وهو يكتب لشعب كنيسة بأكمله ويتوسط لديهم لأجل امرأة واحدة فيقول: "أوصي إليكم بأختنا فيبي التي هي خادمة الكنيسة التي في كنخريا. كي تقبلوها في الرب كما يحق للقديسين وتقوموا لها في أي شيء احتاجته منكم" (رو ١٦: ١-٢)، وأيضاً قوله: "أنتم تعرفون إستفانوس والذين له، فاخضعوا أنتم بدوركم لمثل هؤلاء" (انظر ١كو ١٦: ١٥-١٦)، وبعد ذلك بقليل قال أيضاً: "فأعرفوا مثل هؤلاء" (١كو ١٦: ١٨).

وهذه في الواقع علامة لدى القديسين على محبة حية في تقديمهم أيضاً لمعونات من هذا النوع. وهكذا تصرف أليشع أيضاً من جهة المرأة الشونمية التي استقبلته في بيتها: فهو ليس فقط ساعدها في المجال الروحي، بل إنه بادر أيضاً إلى تقديم مساعدات مادية مقابل خدماتها له بهذا السؤال: "هل لك ما يتكلم به إلى الملك أو إلى رئيس الجيش؟" (٢مل ٤: ١٣).

٨- لماذا أراك تتدهش لرؤيتك بولس يصنع مثل هذه التوصيات في رسائله، إذ أنه أيضاً عندما كان يدعو أناساً ليلازموه

٢- أي قدروهم حق قدرهم.

(في أسفاره) كان يعتبر أنه يحق التعب للاهتمام حتى بزاد السفر لهم بل ويودع هذه الملاحظة في رسالة، وهو كتب إلى تيطس يقول: "جهز زيناس الناموسي وأبلوس باجتهاد للسفر حتى لا يعوزهما شيء" (تي ٣: ١٣). فإن كان يقول هذه التوصية لأجل سفرهما باعتناء شديد، فكم بالأولى جداً لو حدث صدفة ورأهما في خطر، فإنه بالطبع لن يتقاعس عن عمل أي شيء ممكن. انظر مثلاً عندما كتب لفليمون، أي أحسان عظيم أظهره من أجل أنسيموس وبأي اعتناء واهتمام كتب له الرسالة، مع أن أنسيموس هذا كان مجرد عبد، بل كان عبداً هارباً اقترف سرقة عظيمة من عند سيده، فلم يعتق بولس من أن يكتب بشأنه رسالة مظهراً بدفاعه عنه عظمة النفس البشرية التي للآخرين. والشيء الوحيد الذي كان يعتبره موضوع خزي هو معرفته أنه أهمل إتمام عمل خلاصي كان ينبغي عليه أن يعمل. لهذا السبب سعى كثيراً ولم يتردد أبداً في أن ينفق - لمن انتفعوا بالخلاص - لا كلماته أو ممتلكاته بل حتى شخصه أيضاً. وفي الحقيقة إن من أسلم نفسه مرات عديدة للموت، لا يشفق بالأولى جداً على ماله الذي له. ولماذا القول "الذي له"، إذ حتى بدون أن يكون له، أليس من الممكن إظهار أنه لم يشفق على ما هو له؟

ولا تظن أن هذا الكلام هو لغز، على العكس اسمعه أيضاً عندما يكتب لأهل كورنثوس قائلاً: "أما أنا فبكل سرور أنفق وأنفق لأجل أنفسكم" (٢كو ١٢: ١٥)، وعندما خاطب أهل أفسس قال: "أنتم تعلمون أن حاجاتي وحاجات الذين معي خدمتها هاتان اليدان" (أع ٢٠: ٣٤).

المحبة كمال الناموس

٩- فيما يختص بالمحبة وهي الفضيلة الأكثر سمواً، فإن بولس أظهر نفسه أكثر التهاباً من اللهب نفسه. وكما أن الحديد الذي يسقط في النار يتحول تماماً إلى نار، بالمثل هو أيضاً ما أن اضطرم بنيران المحبة صار كله محبة: وكما لو كان هو الأب المشترك لكل البشر بدون استثناء، فإنه اقتدى أيضاً بأولئك الذين بذلوا حياتهم (لأجل أبنائهم)، أو بالأحرى فاق كل الآباء في اهتمامهم (بأبنائهم) في المجال المادي والمجال الروحي، بتسليمه لكلماته وجسده ونفسه وكل ما يملك - أي تسليم كل شيء يحبه طواعية. ولهذا السبب دعا للمحبة كمال الناموس" (انظر رو ١٣: ٨ ، ١٠)، ودعاها "رباط الكمال" (كو ٣: ١٤)، وأم كل للخيرات وأساس وهدف الفضيلة. ولهذا السبب قال أيضاً "أما غاية الوصية فهي المحبة من قلب طاهر وضمير صالح" (اتي ١: ٥). وأيضاً قوله: "لأنه لا تزن لا تقتل لا تسرق لا تشهد بالزور لا تشته وإن كنت وصية أخرى هي مجموعة في هذه الكلمة أن تحب قريبك كنفسك" (رو ١٣: ٩).

حث نهائي

١٠- حيث أن المحبة هي الأساس والهدف وهي كل الخيرات، فلنسنع إلى الإقتداء ببولس في هذه الفضيلة لأنها هي التي جعلته على النحو الذي صار إليه. لا تحثني عن الأموال الذين أقامهم وعن البرص الذين شفاهم، فانه لن يطلب منك أبداً أشياء شبيهة بهذه.

اقتن محبة بولس فيكون لك إكليل كامل ولكن من الذي يؤكد

هذا؟

يؤكد هذا بولس الذي جعل المحبة تنمو فيه بلا عائق فهو الذي فضلها على الآيات والعجائب وألف موهبة أخرى. فهو إذ اقتناها ومارسها على خير ما يرام، عرف بالخبرة آنذاك قوتها بالتمام، فهي التي جعلته على ما هو عليه، ولا شيء آخر يجعله أهلاً (لما صار إليه) سوى قوة المحبة، لهذا السبب قال أيضاً: لكن جئوا للمواهب الحسنى وأيضاً أريكم طريقاً أفضل" (١كو ١٢: ٣١) مشيراً (بهذا) إلى المحبة الطريق الأكثر جمالاً والأسهل في نفس الوقت.

فلنتبع نحن أيضاً نفس الطريق بدون توقف لكي نرى بولس وبالأكثر أيضاً إله بولس ونحصل على الأكاليل للتامة بنعمة ومحبة ربنا يسوع المسيح الذي له المجد والقوة الآن وكل أولى وإلى دهر الدهور آمين.

العظة الرابعة

دعوة بولس - الانتشار العجيب للإنجيل

دعوة بولس

١- إن بولس الذي بسببه نحن اليوم مجتمعون، والذي أنار المسكونة كان قد فقد البصر لحظة دعوته سابقاً، ولكن واقعة فقدانه البصر صيرته نوراً للعالم. وفي الواقع إن الله قد أعماه - لحسن حظه - بسبب عدم وضوح رؤيته، بحيث إنه ربح استعادته البصر وفي نفس الوقت أظهر الله فيه عظمة قوته، معطياً له سلفاً - في هذه الحادثة - صورة لما ينتظره، ومخبراً إياه كيف يتهيأ للكراسة بالإنجيل: بأنه ينبغي له أن يلفظ كل ما كان له (في السابق)، وأن يغلق عينيه ليتبعه دونما نقاش. لهذا من أجل أن يشرح بالتحديد هذا التفسير (التصور)، أعلن بولس نفسه: "إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم في هذا الدهر فليصر جاهلاً لكي يصير حكيماً" (١كو٣: ١٨). لأنه ما كان يمكن أن يستعيد النظر بطريقة مريحة، ما لم يُحرم منه قبلاً وما لم يتخلَّ عن التعليقات الشخصية التي أزعجته لكي يُسلم نفسه تماماً للإيمان.

استجابته للدعوة

٢- لا أريد أن يظن أحد عندما يسمعي أتكلم هكذا، أنه كان هناك إجبار في هذه الدعوة، لأنه كان يمكنه أن يعود من حيث ابتدأ.

كثيرون - في العهد القديم والجديد - رأوا بدون شك آيات أخرى مثيرة للدهشة أكثر ومع ذلك فقد رجعوا إلى الوراء. هكذا يهوذا

ونبوخذ نصر وعليم الساحر، سيمون، حنانيا وسفيرة وشعب اليهود في مجموعته. إن بولس لم يكن هكذا، فهو على العكس عندما ثبت نظره تجاه النور الصافي تابع طريقه وطار نحو السماء. وإن سألت لماذا هو صار أعمى؟ فاسمع كلماته نفسها: "فإنكم سمعتم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية أنني كنت اضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها. وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسي إذ كنت أوفر غيرة في تقاليدات آبائي" (غلا: ١٣-١٤). فبسبب هذا العنف المميز والطافح الذي له، كان محتاجاً للجام قوي جداً، ثم لكي لا يرفض كلمات الله له، ردع الله هذه الحمية الغبية التي عنده بجعله أعمى، وعند تلك اللحظة كلمه مظهراً له حكمته العالية وعلمه الفائق، وقد كان يريد أيضاً أن يعرفه من هو الذي يحاربه والذي لا يستطيع احتمال رؤيته ليس فقط عندما يعاقب بل حتى أيضاً عندما يعمل الخير. لأنه لم تكن الظلمات هي التي جعلته أعمى، بل النور الفائق هو الذي أغرقه في الظلمات.

نداء (دعوة) الله

٣- ستقولون ولماذا لم يُدعَ بولس منذ البدء؟ لا تسأل مثل هذا السؤال ولا تكن فضولياً (لحواً)، لكن اترك العناية الإلهية غير المدركة الاهتمام باختيار الوقت المناسب. وفضلاً عن هذا، فهذا ما فعله بولس نفسه عندما قال: "لكن لما سرَّ الله الذي أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته أن يعلن أبنه في ٠٠" (غلا: ١٥-١٦). وحيث إن بولس تكلم هكذا فلا حاجة بعد من جانبك لمثل هذه الأسئلة غير اللازمة. ففي تلك اللحظة، نعم في تلك اللحظة كانت الدعوة مفيدة

لبولس بمجرد رفع أحجار العثرة من طريقه. ولنعلم من الآن وبدءاً من هذا المثال أن لا أحد بأية طريقة، لا بين الذين سبقوا ولا هو نفسه (أي بولس) يستطيع أن يجد المسيح بقواه وحده، بل الذي يُظهر له المسيح نفسه شخصياً.

لهذا السبب قال المسيح أيضاً: "ليس أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم" (يو ١٥: ١٦). لماذا لم يؤمن بولس في رؤيته للأموات يقومون بقوة اسم المسيح؟ وفي رؤيته للأعرج من بطن أمه يمشي (أع ٣: ١-١١)، والشياطين يهربون والمفلوجين يُشفون (أع ٨: ٧). لم يكن بولس أية منفعة، ومع ذلك لم يجهل هذه الوقائع، ذلك الذي كان يجري تحقيقات دقيقة مع الرسل (والتابعين للمسيح). وأيضاً عندما رأى إسقفانوس يُرجم، كان هو هناك ورأى وجهه شبيهاً بوجه ملاك (أع ٦: ١٥)، ومع هذا لم يكن أية منفعة. فلماذا ذلك؟ لأنه لم يكن قد دُعي بعد.

دوافع القلب (واستعداده)

٤- لكن بالنسبة لك عند سماعك هذه الكلمات، لا ينبغي لك أن ترى أي إجبار في هذه الدعوة لأن الله لا يجبر أحداً، بل هو على العكس يتركنا أسياداً لقراراتنا حتى بعد دعوته لنا.

وهو في الواقع أظهر نفسه لليهود وفي الوقت المناسب، لكنهم رفضوا قبوله، لأنهم سعوا للمجد الذي يأتي من الناس. ولو قال غير المؤمن أيضاً: كيف تقرر بوضوح أن بولس دُعي من السماء وتركت له في نفس الوقت الحرية لقبول الدعوة؟ لماذا لم أدع أنا أيضاً؟.

وهذا هو ما نقوله لصاحب هذا السؤال: قل لي بصراحة يا صديقي: هل تؤمن بهذا الحدث؟.

حسناً إن آمنت، فهذه علامة أن هذا يكفيك، لكن إن لم تؤمن أنه دُعي من السماء فكيف تقول: لماذا لم أدع أنا (أيضاً)؟ لكن إن صدقت أنه دُعي فهذه علامة أن هذا يكفيك. آمن إذاً، لأن الله دعاك أيضاً من السماء بشرط أن تكون لك نفس مهياةً حسناً، وبالعكس إن عاندت بحماقة ورجعت عن الطريق المستقيم، فحتى لو جاءك صوت من السماء فلن يكف هذا خلاصك.

اليهود

٥- كم من مرة سمع اليهود صوتاً آتياً لهم من السماء دون أن يؤمنوا به؟ كم معجزة رأوها في العهد الجديد كما في العهد القديم دون أن يصيروا إلى الأفضل؟! بل نرى على العكس أن هؤلاء الناس في العهد القديم بعد معجزات هذا عددها، صنعوا عجلاً من ذهب (ليعبده) بينما نجد أن راحاب زانية أريحا دون أن ترى شيئاً من أمثال هذه الآيات أظهرت إيماناً يثير الإعجاب أمام جواسيسهم. وحتى وهم في أرض الموعد ظلوا جامدي الإحساس أكثر من الصخور بالرغم من المعجزات التي تمت، أما أهل نينوى فقد كفاهم رؤية يونان ليؤمنوا ويتوبوا وبذلك أوقفوا غضب السماء عليهم. وفي العهد الجديد رآه اللص على الصليب فأمن به بينما اليهود الذين رأوه وسطهم يقيم الموتى قيوده وصلبوه.

أحداث معاصرة (في أيام ذهبي الفم)

٦- وماذا عن أيماننا هذه؟ هل أخفقت النار عن التهام أساسات هيكل أورشليم. ألم تنقض النار على من بينونه وعاقبتهم عن مخططهم الإجرامي؟^٣ ومع هذا لم يتوبوا أو يتخلوا عن قساوتهم وصلابة قلوبهم. كم من معجزات أخرى أنت عليهم بعد هذا الحدث دون أن يجني معاصروها أية فائدة. وعلى سبيل المثال الصاعقة التي سقطت على سقف هيكل أبوللو، عندما أجبرت نبوة الشيطان بالتحديد إمبراطور ذلك الزمان، أن ينقل رفات شهيد موضوعة ليس بعيداً عن هذا الهيكل (الوثني) قائلاً له أنه لن يسمعه صوته طالما أنه يرى رفات الشهيد قريبة منه. وبالحق فهذه الرفات كانت موجودة بالمنطقة القريبة منه. ثم بعد هذا الحريق (الذي شب من الصاعقة) مات عم الإمبراطور عندما دنس الأواني المقدسة للكنيسة، وكان على رأس الفرقة التي قامت بهذا العمل، مات والدود يأكل في جسده (وهو لم يزل حياً)، بينما الأمين على الخزانة الإمبراطورية، فلأنه تم رؤيته أيضاً وهو يزدرى بالكنيسة مات بطريقة مثيرة للانتباه لكل الوسط الحاكم، وأيضاً في بلادنا حيث القصر الإمبراطوري الواقع على الأنهار اختفى مرة واحدة في

٣- حاول الإمبراطور يوليان الجاحد تعاطفاً منه مع اليهود، ومن جهة أخرى لنقض نبوة المسيح من جهة هيكل أورشليم أن يقوم ببنائه مرة أخرى وأبتدأ العمل في البناء في يناير ٣٦٢م. لكن النيران شبت ووضعت حداً لهذه المحاولة وكان من العسير على المسيحي ألا يرى في هذا الأمر ظهور إرادة الله.

٤- ذهبي الفم أشار هنا إلى الموت السريع والمتزامن ليوليان كونت الشرف وعم الإمبراطور، ولشخص يُدعى فيلكس كان أميناً على الخزانة الإمبراطورية.

المنطقة البعيدة عنا، وهذا لم يحدث أبداً من قبل لكن حدث فقط عندما دنس الإمبراطور هذا الوطن بالذبايح والتقدمات.

ما الفائدة من ذكر المجاعة التي كانت على أطراف الأرض.

تحت حكم ذلك الإمبراطور، وأصاب في نفس الوقت كل المدن. بل مقتل نفس الإمبراطور عند الفرس وضياع عقله قبل موته واحتجاز جيشه وسط البربر كما لو في مصيدة ثم التفهقر غير العادي والعجيب للجيش؟

في الواقع، إنه عندما هُزم ذلك الإمبراطور الجاحد ومات وخلفه آخر بقي جداً انتهت في الحال كل هذه الأحداث المرعبة، والجنود الذين كانوا واقعين في الكمين دون أية بادرة للنجاح في الإفلات تم نجاتهم من البربر بتدبير إلهي وعادوا بمنتهى الأمان°.

ألا تكفي مثل هذه الأحداث لإقناع أي إنسان حتى يعود إلى التقوى؟

الانتشار المدهش للبشارة بالمسيح المصلوب

٧- لكن أليس الحاضر مثيراً للدهشة أكثر؟ ألا يُبشر بالصليب والكل يهرعون إليه؟ ألا يعلن بالصليب عن ميتة شنيعة (للمسيح) ومع هذا الكل يندفعون نحوه؟ ألم يُصلب على مشهد من آلاف الناس؟ ألم يُصلب لسان بجانب المسيح نفسه؟ ألم يوجد (آنذاك) كثير من

٥- هذا الآن هو المثال السابع مقابل الأمثلة الستة التي حدثت في عهد يوليوس. وفي الحال بعد موت يوليوس الجاحد قام ضباطه باختيار حورفان كإمبراطور لهم، وكان حورفان مسيحياً، وهذا الإنسان عقد معاهدة صلح بعد أيام من المعارك مع سابور الثاني ملك الفرس وعاد مع جيشه إلى إنطاكية.

الحكماء؟ ألم يوجد آنذاك كثير من الأقوياء؟ هل رأينا أحداً منهم يعلو اسمه إلى هذا الحد؟ ولماذا نذكر الحكماء والأقوياء؟ ألم يوجد آنذاك ملوك مشهورون، هل وجد بينهم من ساد على العالم إلى هذا الحد في وقت قصير؟ لا تذكر لي الهراطقة من كل نوع وصنف، فالكل يبشرون بنفس المسيح حتى ولو كان بطريقة غير صحيحة والكل يعبدون ذلك الذي صُلب في فلسطين على عهد بيلاطس البنطي. ألا يبدو أن هذه الأحداث تُظهر قوته بصورة أكثر وضوحاً أكثر من ذلك الصوت الذي أتى من السماء؟ لماذا كان سلطان كل الملوك لا يساوي شيئاً أمام سلطان المسيح هذا على الرغم من آلاف المعوقات؟ الملوك أشهروا الحرب عليه، والطغاة قاتلوه وشعوب بأكملها قامت ضده، ومع هذا لم يفلحوا في الحط من ديننا بل على العكس ديننا لم يصر إلا أكثر شهرة، فقولوا لي من أين أتت مثل هذه القوة العظيمة؟

اختفاء السحرة والعادات الوثنية

٨- يقولون إن المسيح كان ساحراً!

حسناً! ينبغي أن يكون هو الساحر الوحيد الذي يتصرف هكذا!!

بدون شك أنتم سمعتم أنه يوجد في الهند وبلاد الفرس كثير من السحرة، ولا يزال يوجد للآن كثيرون منهم، لكن ولا أحد يعرف حتى أسمائهم. لكن يُقال أنه يوجد جبال في تيانيز قد حاز نجاحاً منقطع النظير. أين ومتى؟

في منطقة صغيرة من العالم ولو لوقت قصير وانطفأ بهاؤه بسرعة ومات دون أن يترك وراءه: لا كنيسة ولا مؤمنين ولا أي شيء من

هذا القبيل. ولماذا نتكلم عن السحرة والدجالين الذين اختفوا؟ كيف حدث أن عبادة الآلهة (الوثنية) انقطعت تماماً، تلك التي لدودون والتي لكلاروس، وكل هذه الأماكن الشيطانية صمتت وأبكمت؟

الشياطين تخاف الصليب

٩- لماذا ترتعب الشياطين ليس فقط في وجود المصلوب، بل أيضاً في وجود رفات الذين قُتلوا لأجله؟ لماذا بمجرد أن يسمعوها كلاماً عن الصليب يهربون سريعاً؟ وهم في الحقيقة يصيرون (بهذه) مدعاة للسخرية؟ هل الصليب في حقيقته شيء بهي ومبهج؟ لا على العكس، إنه شيء مخزٍ وشائن، فهو عقوبة للمدان، بل أسوأ أنواع العقوبات للأثمة وموضع لعنة عند اليهود ومُستهجن لدى اليونانيين. فمن أين يتأتى أن الشياطين تخافه؟ أليس بسبب قوة المصلوب؟ إذ أنه شعور يغيظ الآلهة الوثنية كونها تخاف الصليب لأجل المصلوب عليه. فضلاً عن هذا فإن كثيراً من الناس قبل وبعد المسيح صلبوا وصلب أيضاً اثنان معه.

حسناً! لو قالوا باسم اللص المصلوب أو باسم فلان أو فلان الآخر المصلوب، هل سيهرب الشيطان؟ إطلاقاً بل سيبدأ في الضحك. لكن على العكس فبالإضافة إلى الصليب يُذكر اسم يسوع الناصري فتهرب الشياطين كما لو كانوا أمام نار. فبماذا يمكنك أن تجيب؟ كيف انتصر؟ هل لأنه كان يضل الجموع (كما يزعمون)؟ لكن وصاياه لم تبد شيئاً مثل هذا. وفضلاً عن ذلك يوجد دائماً الكثير من المضلين للجموع (لم يكن لهم نفس تأثيره).

هل أنه كان ساحراً؟

لكن تعليمه لا يعطي هذه الشهادة عنه، وكثيراً ما وجد عدد فائض من السحرة (لم يصلوا لما وصل إليه).

هل لأنه كان حكيماً؟

لكن غالباً ما يوجد كثير من الحكماء (ومع ذلك لم يصيروا في شهرته أو قوته) فمن أحرز انتصاراً مثل هذا الانتصار؟ لا أحد على الإطلاق حتى ولو النذر القليل منه.

بولس الرسول: قصور إمكانياته ونجاحاته الرسولية

١٠- إذاً بكل تأكيد إن سمو المسيح ليس لأنه كان ساحراً أو مضلاً للجموع كما أشاعوا عليه، بل على العكس لأنه سعى إلى تقويم أولئك الناس ولأنه كان يوجد فيه قوة إلهية لا تقهر... نعم لأجل هذا ساد على الكل وقد بث في صانع الخيام هذا قوة تتوافق عظمتها مع أعماله العظيمة.

في الواقع إن الإنسان الذي شارك في الحياة العامة ومارس صناعة الخيام صار مقتدرًا إلى درجة أنه اقتاد الرومان والفرس والهنود والسكيثيين والإثيوبيين والمادييين والعيلاميين والعرب إلى الحق، وباختصار كل الجنس البشري في أقل من ثلاثين سنة. فقل لي من أين تأتي لهذا الإنسان المتمرس في الأسواق والواقف في محله والمتعود على استعمال أدوات حرفته أن يمارس هو نفسه مثل هذه الفلسفة ويكون له القدرة على إقناع الآخرين، من شعوب مدن أو قرى، ليس

بالتفاخر بقوة الفصاحة (والمنطق)، بل على العكس، أي بكونه عادم الثقافة تماماً؟ اسمعوه مثلاً وهو يقول بدون خجل: "وإن كنت علمياً في الكلام فلست في العلم (كذلك)" (٢كو ١١: ٦). ولم يكن له ثروة وهذا أيضاً قد أكدّه بقوله: "إلى هذه الساعة نجوع ونعطش ونُعْرَى ونُلكم وليس لنا إقامة" (١كو ٤: ١١). ولماذا الحديث عن الثروة بينما أيضاً كان ينقصه كثيراً القوت الضروري والملبس اللازم؟ بالنسبة لوضاعة مهنته فإن تلميذه لوقا أشار أيضاً لهذا عندما قال: "لكونه من صناعتهما (أي صناعة أكىلا وبريسكلا) أقام عندهما وكان يعمل لأيهما كانا في صناعتهما خيامين" (أع ١٨: ٣).

لم يكن لأجداده فضل عليه في رفعتهم وإلا فكيف مارس مثل هذه المهنة (الوضعية)؟ وكذلك لا فضل لوطنه أو أمته عليه. ومع هذا بمجرد ظهوره في الخدمة العلنية أربك تماماً معارضييه وأفحم الكل، وكمثل النار التي سقطت على البوص أو على القش، فإنه حول سلطان الشياطين إلى رماد وصير كل شيء بحسب مشيئته.

المستوى الوضيع للتلاميذ

١١- ومما يثير الإعجاب فيه ليس أنه فقط بقليل من الإمكانيات امتلاك شخصياً تلك القوة العظيمة، فعالية الرسل أيضاً كانوا فقراء وبحالة وضعية وعاميين ويعانون من الجوع وكانوا من المغمورين. وهذا أعلنه بولس بنفسه ولم يخجل عن التكلم عن فقرهم ولا خجل حتى من طلب مال وطعام لأجلهم إذ قال: "أنا ذاهب إلى أورشليم لأخدم القديسين" (رو ١٥: ٢٥). وقال أيضاً: "في كل أول أسبوع ليضع

كل واحد منكم عنده خزاناً ما تيسر حتى إذا جئت لا يكون جمع حينئذ" (١كو ١٦: ٢). وأيضاً كون الأغلبية منهم عبارة عن أشخاص عاميين فهذا أكدّه عند كتابته لأهل كورنثوس بقوله: "فانظروا دعوتكم أيها الإخوة أن ليس كثيرون حكماء حسب الجسد" (١كو ١: ٢٦)، ومن جهة ما يختص بأصلهم الوضع قال: "ليس كثيرون شرفاء" (بقية ١كو ١: ٢٦)، وليس فقط هم بدون أصل شريف، بل أيضاً عاميين، وفي الحقيقة فإن "الله اختار جهال العالم ليخزي الحكماء واختار الله ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء. واختار الله أدنياء العالم والمزدرى وغير الموجود ليبطل الموجود" (١كو ١: ٢٧-٢٨)، لكن حيث إن الكل كان بهذه الحالة الوضيعة وغير متعلمين فهل كانوا يملكون بطريقة أو بأخرى موهبة الإقناع بالكلمة؟ لا على الإطلاق. وهو أيضاً أشار إلى هذا بنفسه عندما قال: "وأنا لما أتيت إليكم أيها الإخوة أتيت ليس بسمو الكلام أو الحكمة منادياً لكم بشهادة الله. لأنني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً. وكلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع".

زيادة على ذلك كانوا مضطهدين

١٢- لكن هل مضمون الكرازة كان قادراً على الاجتذاب؟ اسمع ما قاله أيضاً من جهة هذا الأمر: "لأن اليهود يسألون آية واليونانيين يطلبون حكمة. ولكننا نحن نركز بالمسيح مصلوباً لليهود عثرة ولليونانيين جهالة" (١كو ١: ٢٢-٢٣).

فهل كان لهم امتياز الحياة الآمنة كتعويض عن هذا؟ على العكس لم تهادنهم المخاطر أبداً إذ قال: "وأنا كنت عندكم في ضعف وخوف ورعدة كثيرة" (١كو ٢: ٣)، وليس هو فقط بل أيضاً تلاميذه جازوا نفس التجارب فهو كتب يقول: "لكن تذكروا الأيام السالفة التي فيها بعدما أنرتم، صبرتم على مجاهدة آلام كثيرة. من جهة مشهورين (أي مشهور بكم) بتعبيرات وضيقات، ومن جهة صائرين شركاء الذين تصرف فيهم هكذا. وقبلتم سلب أموالكم بفرح" (عب ١٠: ٣٢-٣٤). وعندما كتب إلى أهل تسالونيكي قال أيضاً: "فإنكم أيها الإخوة صرتم متمثلين بكنائس الله التي هي في اليهودية في المسيح يسوع لأنكم تألمتم أنتم أيضاً من أهل عشيرتكم تلك الآلام عينها كما هم أيضاً من اليهود الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم واضطهدونا نحن. وهم غير مرضيين لله وأضداد لجميع الناس" (١ تس ٢: ١٤-١٥). وعندما كتب مرة أخرى إلى أهل كورنثوس قال: "كما تكثر آلام المسيح فينا، كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً. عالمين أنكم كما أنتم شركاء في الآلام كذلك في التعزية أيضاً" (٢كو ١: ٥، ٧). وإلى الغلاطيين كتب يقول: "أهذا المقدار احتملتم عبثاً؟ إن كان عبثاً" (غلا ٣: ٤ بحسب النص).

١٣- إذاً حيث إن الكارز كان إنساناً عديم العلم وفقيراً ووضع الأصل، لذا فالكراسة لم تكن مخادعة بل أثارت العثرة (للذين يتم تبشيرهم) إذ أن الكارزين كانوا فقراء بدون نفوذ وبدون أي اعتبار وكانت المخاطر لا تتوقف متربصة للمبشرين كما للتلاميذ (الذين

يقبلون هذه الكرازة)، أضف إلى ذلك أن الذي كانوا يبشرون به كان مصلوباً، فماذا كان سبب هذا الانتصار؟.

ألم يتضح تماماً أن هناك كانت قوة إلهية لا يُنطق بها (وراء هذا الانتصار)؟ إنني أظن أن هذا كان واضحاً لكل إنسان. يمكن أيضاً التحقق من هذا عند التفكير بالقوى المعارضة. في الحقيقة عندما ترى تجمع القيم المعارضة للحقائق السابقة: الغنى، نُبُل الأصل، امتداد الإمبراطورية، الموهبة الخطابية، الأمان، العبادات الدينية (الوثنية) الممارسة على نطاق واسع (هذا بالإضافة إلى أن) الأديان المستحدثة تُمنع في الحال، ومع هذا فهؤلاء الناس (المبشرون) الذين جاءوا من المعسكر المعارض أحرزوا الانتصار، فقل لي ما السبب؟.

إن كل ما حدث كان بالضبط مثل ملك أعد جيشه حسناً بالمعدات وقايل بطريقة مدروسة و(مع ذلك) لم يستطع الانتصار على البربر، بينما رجل فقير بدون جيش، بل بمفرده ولم يكن في يده ولا حتى سهم أو قوس وبدون ملابس على جسده أتم بمجرد وصوله ما لم يستطع آخرون صنعه بالجيش وبكل المعدات الحربية.

أعبد أنت أيضاً المصلوب

١٤- فلا تكن ذا إيمان باطل، بل جدد كل يوم عهدك وأكرم قوة المصلوب. في الحقيقة لو رأيت إنساناً ما حاصر مدناً وحفر خنادق حولها ووضع آلات الحرب بالقرب من الأسوار وحدد (نوع) الأسلحة وجند عساكر وأعدّ ثروة هائلة (لتوزيعها على الجنود حال فوزه) ومع هذا لم يستطع أن يسود ولا على مدينة واحدة. ومن ناحية أخرى لو

تقدم شخص بدون أن يكون له شيء على جسده ولم يستخدم إلا يديه
وهاجم ليس فقط مدينة واحدة أو اثنتين أو عشرين، بل آلاف المدن
التي في العالم ثم اكتسح كل سكانها، فلن نقول بعد ذلك إن هذا يرجع
إلى فاعلية قوة ما بشرية. لهذا السبب سمح الله أن يُصلب معه
اللصان، وقبل ظهور المسيح سمح أيضاً بوجود بعض المضلين لكي
يظهر أيضاً من كافة الأوجه سمو الحق، وتفهم أن المسيح لم يكن
واحداً منهم، بل على العكس يوجد بينه وبينهم هوة عظيمة بل لا
نهائية. فلا شيء يمكنه أن يزيل مجده، لا الآلام المشابهة ولا مطابقة
الأزمنة. فلو كان الصليب (بمفرده) هو الذي تخافه الشياطين وليس
قوة المصلوب، فإن منظر اللصين يُسكت في الحال أفواه الذين
يتكلمون هكذا. ومن ناحية أخرى لو كانت صعوبة الظروف هي
السبب في كل هذا، فإن أتباع ثيوداس ويهوذا يشهدان لصالحنا وهما
الذان عملاً محاولات شبيهة وكانت تصاحبهما عجائب متنوعة ومع
هذا فقد اندحرا.

وفي الحقيقة - كما سبق أن قلت - فإن الله سمح بهذا لكي يضع
بوفرة الدليل على عمله الخاص. وهوذا لهذا السبب سمح أيضاً أن
الأنبياء الكذبة يظهرون أيضاً في زمن الأنبياء، والرسل الكذبة
يظهرون في زمن الرسل لكي تعرف أنه لا يمكن أن يترك في الظل
شيئاً من أعماله.

انتصار الإنجيل على كل العقبات في روما

١٥- هل ينبغي أن أقول لكم بوجه آخر عن القوة العجيبة وغير
العادية التي للكراسة بالإنجيل والتي أظهرت لك كيف أن بولس ارتفع

واكتسب سلطاناً أمام نفس الأشياء التي حارب بها؟.

كان من بين الذين حاربوا بولس الشهير البعض ممن كرزوا بنفس تعليم في روما، وذلك بغرض إثارة نيرون الذي حارب بولس وهوذا هم أنفسهم أيضاً تكفلوا بالكراسة لكي بانتشار نار الكلمة بالأحرى أولاً بأول وبتزايد عدد التلاميذ يكون غضب هذا الطاغية أكثر شدة، ولكي يصير هذا الوحش أكثر ضراوة. وبولس نفسه قال في رسالته إلى أهل فيليبي: "أريد أن تعلموا أيها الإخوة أن أموري قد آلت أكثر إلى تقدم الإنجيل. وأكثر الإخوة وهم واثقون في الرب بوثقي يجترئون أكثر على التكلم بالكلمة بلا خوف" (في ١: ١٢، ١٤). "أما قوم فعن حسد وخصام يكرزون بالمسيح، وأما قوم فعن مسرة. فهؤلاء عن تحزب ينادون بالمسيح لا عن إخلاص ظاتين أنهم يضيفون إلى وثقي ضيقاً. وأولئك عن محبة عالمين أنني موضوع لحماية الإنجيل. فماذا؟ غير أنه على كل وجه سواء بطة أم بحق يُنادى بالمسيح. " (في ١: ١٥-١٨). هل ترى كيف أن الكثيرين بشروا عن مكيدة؟ ومع هذا فحتى أعداؤه ساهموا في انتصاره.

العداء للنظام القائم

١٦- في نفس الوقت كان يوجد أيضاً عقبات أخرى. إن القوانين القديمة - في الواقع - ليس فقط لم يكن بها أي أمان (وحماية لهم)، بل هي أيضاً أدت إلى اضطهادهم وشن الحرب عليهم، وكان يوجد أيضاً جهل وخبث الوشاة. وكانوا يقولون: "إنهم يعترفون بالمسيح ملكاً وليس بقيصر"، إلا أنهم بالتأكيد لم يظنوا هذا من جهة ملكوته السماوي، هذا

الملوك المهيب واللائهائي، لكنهم كانوا يفترون عليهم بقولهم إن هؤلاء الكارزين كانوا يسعون إلى إقامة سلطة جديدة مطلقة على الأرض.

الكل على المستوى العام وعلى المستوى الخاص كانوا يحاربونهم: فعلى المستوى العام بالادعاء بأنهم سيقودون الدولة إلى الخراب وقلب القوانين، وعلى المستوى الخاص بالزعم بأن كل أسرة (دخلتها المسيحية) انقسمت وتحطمت. فهذا الأب صنع حرباً مع ابنه، والابن تنكر لأبيه، والنساء لأزواجهن، والأزواج لزوجاتهم، والبنات لأمهاتهن، والأقارب لأقاربهم، والأصدقاء لأصدقائهم، وهذه الحرب كانت متنوعة ومتعددة ومتسللة إلى الأسر فاصلة بين الوالدين بعنف ومزعجة لمجالس الشيوخ وملقية بالاضطراب في المحاكم، فكانوا يرون أن العوائد الأسرية تتحطم والأعياد وعبادات الآلهة (الوثنية) هي أيضاً تضمحل في حين أن كل المشرعين القدامى قد اعتنوا قبل كل شيء آخر بحفظ هذه الأشياء بيقظة شديدة. وزيادة على ذلك لتخوفهم من التغلغل المسيحي فقد أمر الرومان بطرد المسيحيين من كل موضع. ولا يمكن القول بأن هذا حدث عند اليونانيين وبأن اليهود من جانبهم كانوا متمسكين بالهدوء، فهؤلاء هاجموهم بشدة أكثر ضراوة أيضاً، لأنهم من جانبهم ذهبوا إلى جعل بولس مسؤولاً عن ضياع حقوق المواطنة بقولهم: "هذا الرجل لا يفترعن أن يتكلم كلاماً تجديفاً ضد هذا الموضع المقدس والناموس"^٦ (أع ١٣: ٦).

٦ - هذه التهم تُسبت إلى إستفانوس أول الشهداء وليس إلى بولس الرسول ولكن هذا لا يمنع أنهما تنطبق على بولس الرسول أيضاً.

تجارب أخرى

١٧- ومع هذا، فإنه بينما كان الأتئون يتوهج من كل مكان بلهب أت من الأسر والمدن والقرى ومن المواضع المنعزلة ومن اليونانيين ومن اليهود، من الرؤساء ومن رعاياهم، من أعضاء نفس الأسرة، من الأرض ومن البحر، من الأباطرة، وبينما الجميع تهيجوا وتبادلوا الهجوم الوحشي وهاجموا بمنتهى الشدة كوحوش ضارية، فإن بولس الطوباوي انقضّ إلى داخل هذا الأتئون ووقف وسط الذئاب وتلقى ضربات من كل جانب وليس فقط لم ينسحق، بل أيضاً قاد الكل إلى الحق.

هل ينبغي عليّ أن أذكر أيضاً مصارعات أخرى أكثر إيلاًماً: الجهاد ضد الرسل الكذبة، والأمر الذي أتعبه جداً هو الجهاد ضد ضعف تلاميذه. نعم فكثيرون هم المؤمنون الذين استسلموا للانحلال. لكن حتى أمام هذه التجارب، فإن بولس صمد، كيف وبمقتضى أية قوة؟.

"أسلحة محاربتنا ليست جسمية بل قدرة بالله على هدم حصون. هادمين ظنوناً وكل علو يرتفع ضد معرفة الله" (٢كو ١٠: ٤-٥). لهذا السبب وجدّ أن كل القلوب تغيرت وعزفت سويّاً إيقاعاً آخر.

الخاتمة

أ- الإنجيل نار لا تقاوم

١٨- كما في أتون مسنعر نلتهم الأشواك في وقت قصير ثم تخفي تاركة الموضوع للهبب الذي يظهر القول، كذلك أيضاً عندما تسمع كلمات بولس وتهاجم بشدة أكثر من شدة النار، فالكمل يخفي ويجعل الموضوع طاهراً: عبادة الآلهة (الوثنية)، الأعياد وكل التجمعات الحاشدة التي تعمل إكراماً لهذه الآلهة، غضب الشعوب، تهديدات الطغاة، مؤامرات الناس الذين من جنسه وخبث الرسل الكذبة.

كما يمكننا التشبيه بالشمس: فعند شروقها تنقشع الظلمة وتخفي الحيوانات المفترسة وتتزوي، ويتوارى اللصوص، والقطة يلجأون إلى أوكارهم، والقراصنة يختبئون، وناهيو المقابر يتراجعون، والزناة والسارقون وثاقبو الأسوار يشعرون أنه سيفتضح أمرهم بسبب إشراق الشمس، فيذهبون بعيداً ويتوارون، لأن كل موضع (يصير) منيراً وبهياً: الأرض والبحر وكل شيء يصير منيراً جداً بسبب تأثير الشمس؛ البحار والجبال والقرى والمدن، كذلك أيضاً بمجرد أن كرازة بولس ظهرت إلى النور وانتشرت في كل مكان، فإن الضلال ولّى وعاد الحق واختفى شحم ودخان الذبائح وتلاشت الصنوج والطبول والموائد التي يسكرون فيها، وانتهت أعمال الدعارة والزنا وكل الرذائل الأخرى التي ذكرها قبيح والتي كان يتم ممارستها في معابد الأوثان، وذابت مثل الشمع عند تلامسه مع النار، وتآكلت كالقش في محضر اللهب. وبالمقابل فإن اللهب اللامع للحق صعد مشرقاً وارتفع

حتى إلى السماء نفسها وبقدر أعلى كلما زادت المقاومة، وبقوة أكثر كلما صادفته العقبات دون أن يوقف أي شيء انتشاره، وكان تقدمه لا يُقاوم: فلا المخاطر أو الطغيان أو الأعراف القديمة جداً أو قوة العادات والشرائع المتوارثة عن الأجداد ولا التفسير المُربك للوصايا المُعلّمة ولا شيء آخر من كل الذي ذكرناه أوقف تقدمه.

ب- بولس والفلاسفة الوثنيون

١٩- ولكي تفهم أية أعجوبة يمثل هذا التقدم ٠٠ لن أقول لك شيئاً عن الأخطار وأتعاب الموت وعن الجوع وعن ضياع بسيط للمال، بل هدد الوثنيين وحسب، وستراهم في الحال يغيرون معتقداتهم وآراءهم. لا يوجد شيء مثل هذا في ديننا، فبينما الكل يتم تشويههم أو قتلهم أو يكونون هدفاً لاضطهاد متعدد الأوجه واسع الانتشار، ومع هذا فديننا انتشر أكثر. ولماذا أتكلم عن اليونانيين (الوثنيين) الحاليين الذين هم أدنياء.

ومحتقرون؟ فلنحاضر أمام الذين كانوا فلاسفة مشهورين في الماضي مثل أفلاطون وفيثاغورث وغيرهم كثيرون من أمثالهم وسترى آنذاك قوة الكرازة الإنجيلية.

عندما شرب سقراط السم رحل بعض تلاميذ إلى موضع آخر خوفاً من أن يلاقوا نفس المصير، والآخرين طردوا وحُرموا من الحرية ولم يتركوا سوى امرأة واحدة. وبالنسبة إلى فلسفة سيتيوم، فبالرغم من كتب الفلسفة السياسية التي تركها والشهرة التي تركها والنجاح في الأوساط الحاكمة، فإنه صادف نفس الطمس لنفوذه. وبالرغم من أنه لم

يكن أمامهم أية عقبة ولا أي خطر، وحياتهم لم تكن مغمورة بل على العكس كانوا رجالاً فصحاء ولديهم مال كثير وكانوا ينتمون إلى وطن مشهور عالمياً، ومع هذا لم يكن لهم أي تأثير، لأن هكذا هي طبيعة الضلال، فحتى لو لم يوجد شيء يعاكس الضلال، فإنه يضمحل، أما طبيعة الحق فحتى لو حارب كثيرون الحق، فإنه يتابع امتداده وتقدمه.

٢٠- إنه تكفي الوقائع للإعلان عن الحقيقة البسيطة: فالكلمات والأحاديث (الفارغة) غير مفيدة لها، فالأرض كلها تسمع صوته: كل أطراف العالم من مدن وقرى، قارات وبحار، أقطار مسكونة وغير مسكونة بل وقمم الجبال. لأن الله لم يترك الصحاري بمعزل عن المشاركة في جوده وهو أكملها هي أيضاً بكل الخيرات التي أحضرها لنا من السماء وهذا (تم) بغم بولس وبالنعمة التي سكنت فيه. وهذه النعمة تلالأت وفاضت فيه، لأنه أظهر أولاً استجابة جعلته مستحقاً لها، وأغلب الخيرات البهيجة التي عدناها تم الحصول عليها بفضل كلمته.

حث أخير

٢١- فمن ثمّ فإن الله قد كرّم البشرية إلى درجة أنه أراد أن شخصاً واحداً (مثل بولس) ليكون صانعاً كل هذه العجائب. فلنسع للشبه ببولس ولنقتد به ولنجتهد لكي نصير نحن أيضاً مثله ولا نفتكر أن هذا مستحيل. لأنه كما قلت مراراً ولن أتوقف عن القول: إن بولس له جسد مثل جسدننا، ويحيا مثلنا وله نفس مثلنا، لكن إرادته هي الجديرة بالإعجاب وغيرته كانت زاهية، وهذا هو الذي صنع عظمته. لذلك ليت لا أحد يبأس أو يهمل في نفسه، فأنت في الحقيقة لو هيأت نفسك حسناً فلن يمنعك شيء من نوال نفس النعمة: "لأن الله لا يقبل

بالوجوه" (أع. ١٠: ٣٤؛ انظر رو. ٢: ١١)، فهو الذي شكل النفس وهو الذي أخرجك إلى الحياة. فإن كان هذا هو رب بولس، فهو أيضاً ربك أنت أيضاً. وإن كان قد مدحه علانية، فهو يريد بالمثل أن يكللك.

فلنقدم له أنفسنا ولنتطهر لكي بعد أن ننال بدورنا النعمة بفيض، نحصل على نفس الخيرات بنعمة ومحبة ربنا يسوع المسيح الذي له المجد والقوة إلى أبد الآبدين آمين.

العظة الخامسة

سلوكيات القديس بولس الرسول (المختلفة)

جسد مائت

١- أين أولئك الذين يلومون الموت بقولهم إن الجسد قابل للعطب وخاضع للفساد، وأنه عقبة لهم للتقدم نحو الفضيلة؟ فليسمعوا الفضائل البطولية لبولس وليجحدوا هذا الافتراء الذي هو من وحي الشياطين. بأي شيء أضر الموت طبيعتنا؟ وبأي شيء كان الفساد الطبيعي عقبة للفضيلة؟ تأمل في بولس وسترى أن حالتنا المائنة تؤول تماماً لما فيه بالأولى منفعتنا. وفي الواقع لو أن بولس لم يكن مائتاً لما استطاع أن يؤكد أو بالأحرى لعجز عن إظهار هذا (الشيء) لأن أعماله بالحق هي التي منحتة سلطاناً أن يقول: "إني بافتخاركم الذي لي في يسوع المسيح ربنا أموت كل يوم" (١كو ١٥: ٣١)، ففي كل موقف نحن لا نحتاج إلا إلى العزيمة، وما ينقصنا فقط هو الحمية. فلا شيء يمنعنا آنذاك من أن نأخذ موضعنا في الصفوف الأولى. ألم يكن هذا الإنسان مائتاً؟ ألم يكن عامياً؟ ألم يكن فقيراً ويعمل كل الأيام ليقوت نفسه؟ ألم يكن له جسد خاضع لكل ضرورات الطبيعة؟ ما الذي منعه عن إدراك مثل هذه العظمة؟ لا شيء.

ليت لا أحد ييأس لأنه فقير، أو يتضايق لأنه عامي، وليت لا أحد يستاء لأنه ضمن الناس البسطاء، لكن اترك هذه الضعفات لذوي النفوس الرخوة والقلوب الخائرة. نعم، لا يوجد إلا عقبة واحدة

للفضيلة: نفس خليعة ومستهترة، وبدون هذا لا شيء أبداً يشكل أي عقبة.

إن بولس الطوباوي الذي جمعنا اليوم يُظهر لنا هذا بوضوح. كذلك بالحقيقة إن كانت حالته (كإنسان فقير وعامي) لم تسبب له أي ضرر، كذلك الوثنيون لم يجنوا أية ميزة من الموقف المعارض: فلا الموهبة الخطابية أو الثروة الكثيرة أو العائلة المشهورة أو السمعة العريضة أو مراكز السلطان قد أفادتهم.

٢- لماذا نتكلم عن البشر؟ وبتحديد أكثر إلى متى أو اصل حديثي على مستوى الأرض (والأرضيات) بينما يمكن لنا الكلام عن القوات العلوية والسيادات وأيضاً عن الذين يحكمون عالم الظلمة (أف ٦: ١٢)؟

ما الذي أفادهم بكونهم يشاركون في مثل هذه الطبيعة النبيلة؟ ألن تقف كل القوات السماوية أمام بولس وكل من يشابهه؟ وهو قال: "أستم تعلمون أننا سندين ملائكة فبالأولى أمور هذه الحياة" (١كو ٦: ٣).

حسناً فشيء واحد يجعلنا نتألم: الخطية، وشيء واحد فقط يفرحنا ويبهجنا: الفضيلة. فلنعط لها كل حميتنا ولا شيء (آنذاك) سيمنعنا من أن نكون مثل بولس.

شجاعة بولس ونعمة الله

٣- إن بولس الرسول لم يدرك مثل هذا السمو بتأثير النعمة فقط، بل أيضاً بإرادته الشخصية وبالتأثير الذي مارسه النعمة فيه، لأن

النعمة عملت فيه في نفس الوقت مع إرادته. لأنه امتلك إلى أقصى درجة كلا الكنزين: المواهب التي تأتي من روح الله والقوى التي تأتي من الإرادة الشخصية.

هل تريد أن تعرف دور نعمة الله فيه؟ الشياطين كانت تخاف من ملايسه (انظر أع ١٩: ١٢). لكن ليس هذا هو الشيء الذي نعجب منه، بل إن كون ظل بطرس يشفي الأمراض لا يعجبنا، إنما الذي نعجب منه هو كيف أنه من قبل أن ينال النعم الإلهية بعد، ومنذ البداية وقبل أن يمتلك بعد لتلك القوى غير العادية وقبل أن توضع عليه الأيادي، نقول كيف أنه التهب بمثل هذه الغيرة العظيمة للمسيح، الأمر الذي أقام ضده كل الشعب اليهودي. وعندما عاش في وسط مثل هذه المخاطر العظيمة إلى درجة أن المدينة كانت محاصرة، فإنه تم إنزاله في سل من طاقة في سور المدينة، ومع هذا حتى بمجرد نزوله فبدلاً من أن يمتلئ خوفاً أو جبناً أو فرحاً، فإنه لم يصر إلا أكثر غيرة وحماساً. فإن كان قد توارى عن المخاطر فهذا لكي ينظم خدمته بطريقة أفضل. إنه لم يتوار عندما كان عليه أن يبشر بالإنجيل، بل على العكس فإنه أمسك بالصليب من جديد وسار خلفه. إذ كان له مثال إستفانوس الذي كانت صورته لم تزل عالقة في ذهنه لحدثاتها، ورأى مقابله اليهود وهم ينفثون قتلاً ويرغبون في التشنج من جسده. وفي الحقيقة فإن بولس لم يلق نفسه في المهالك اعتباراً، بل ولو أنه من ناحية أخرى هرب لكن حميته ونشاطه لم يفترأ.

وهو إن كان مولعاً بقوة بالحياة الحاضرة من أجل المنفعة التي يمكنه أن يجنيها منها، إلا أنه كان أيضاً يزدري بها بسبب حياته

المتجددة التي نال منها إلهام هذا الازدراء، أو بالأحرى بسبب تلهفه للذهاب إلى يسوع.

لقطات مختلفة في حياة بولس

٤ - لأنني أقول دائماً بخصوصه ولن أتوقف عن القول إن لا أحد في وجود مواقف متناقضة قد تصرف بقدر متساوٍ من الاهتمام على كلا المستويين دفعة واحدة. وعلى أي حال لم ينجذب أحد مثله إلى هذا الحد للحياة الحاضرة ولا حتى الذين عشقوها، ولا حتى الذين أماتوا نواتهم إلى أقصى درجة ازدروا بها مثله.

إن بولس كان هكذا عادماً من كل شهوة ولم يتلذذ بشيء من أمور هذا العالم، لكن في كل موقف كانت رغائبه تتطابق مع إرادة الله. فهو من جهة أعلن أنه كان ملزماً جداً بالمعيشة هنا على الأرض عن أن يوجد مع المسيح ويتسامر معه (في ١: ٢٤)، ومن جهة أخرى يرى في وجود الجسد حملاً ثقيلاً ومتعباً إلى درجة التأوه وشهوة الانطلاق (في ١: ٢٣؛ ٢ كو ٥: ٤). وهو لم يكن له إلا نوع واحد من الرغبات، وهي الرغبات التي تجلب له فائدة تتوافق مع قصد الله حتى لو كان هذا التصرف في حقيقته يسبب تعارضاً مع تصرف سابق له.

وعلى ذلك كان بولس كائناً مختلفاً متكيفاً مع كل الأحوال، وهذا لم يكن شيئاً يمت بصلة إلى الرياء. حاشا لله، بل إنه تكيف على الدوام مع المتطلبات التي تستدعيها الكرازة بالإنجيل وخلص الناس، وبهذا أيضاً كان يقنّدي بسيده.

ظهورات متنوعة لله

٥- في الحقيقة فإن الله ظهر أيضاً على هيئة إنسان عندما لزم أن يظهر هكذا، ليس فقط في وسط النار سابقاً عندما حتم الموقف هذا، بل أيضاً مرة على هيئة جندي (يش٥:١٣)، ومرة تحت شكل قديم الأيام (دا٧:١٣)، ومرة عبر النسيم (امل١٩:١٢)، ومرة على هيئة مسافر (تك١٨:٢)، وأخيراً كظهور حقيقي في الطبيعة البشرية التي قادتته أيضاً إلى قبول الموت. وعندما أقول: "عندما لزم أن يظهر هكذا" فهذا لكي لا يرى أي إنسان فيها حتمية بالمعنى الحرفي، بل الذي ألهمه لهذا التصرف فقط هو محبته للبشرية. أحياناً أيضاً يجلس على عرش (إش٦:١)، وأحياناً فوق الشاروبيم (حز١:٢٦). وهو يرتب كل هذه الظهورات بحسب الظروف. ولهذا السبب هو قال أيضاً للنبي: "كثرت الرؤى وبيد الأنبياء مثلت أمثالا" (هو١٢:١٠).

وحدة أساسية

٦- إن بولس الذي اقتدى بسيدته لا يمكن أن يكون محل ملامة عندما تصرف أحياناً كيهودي وأحياناً كمتحرر من الناموس (انظر ١كو٩:٢٠-٢١). أحياناً يحفظ الناموس وأحياناً يتخطاه، أحياناً يتمسك بالحياة الحاضرة وأحياناً يحتقرها، أحياناً يطلب المال وأحياناً يرفض حتى عندما يُعطى له، أحياناً يقدم ذبيحة ويخلق رأسه، وبالعكس يوجه الحرم لمن يتصرفون هكذا، وأيضاً يمارس الختان وفي مرة أخرى يرفضه.

إن هذه المواقف كانت بدون شك متناقضة، لكن القرار والنية التي ألهمت هذه المواقف كانت مترابطة ولم تكن إلا واحدة. لأنه لم يكن له إلا غرض واحد وهو: خلاص الذين يسمعونهم ويرونه. ولهذا السبب كان أحياناً يمجّد الناموس وأحياناً أخرى يتخطاه. وبالتأكيد لم يكن بولس متنوعاً ومتعددًا فقط في أعماله، بل أيضاً في أقواله، دون أن يكون في هذا تغيير لرأيه أو تقمصه لشخصية أخرى، بل على العكس ظل على ما كان عليه، ولكل حالة تكلمنا عنها كيف نفسه بحسب متطلبات الموقف. فعلياً ألا نلومه لهذا التصرف بل هذا يبرر بالأولى الدافع القوي لمدحه إلى أقصى درجة ولنواله الإكليل.

٧- وهذا بالفعل مشابه لما يعملهُ الطبيب عندما تراه أحياناً يكوي جرحاً وأحياناً يربطه، أحياناً يستخدم مشرط وأحياناً يستخدم مرهم. أحياناً يمنع عن المريض الأكل والشرب، وأحياناً أخرى يسمح له بالأكل حتى الشبع. أحياناً يغطيه تماماً بالأغطية وأحياناً أخرى عندما يكون محموراً يوصي بأن يمنع عنه تماماً ولو كوب ماء بارد. فلن تنتهم الطبيب لهذا بعدم الثبات أو بالنقلب المستمر، بل حينئذ وعلى وجه الخصوص ستمتدح صناعة الطب هذه إذ تراه يستخدم بحزم وسائل متناقضة بل ومؤنية ظاهرياً وفي نفس الوقت تؤول إلى صحة المريض. ونحن نقرّ بمهارة هذا الطبيب لهذه المرونة في التصرف. فإن كنا نستحسن الطبيب عندما يلجأ إلى هذه الطرق المتناقضة في العلاج فبالأولى جداً ينبغي أن نمجّد جداً بولس الذي تصرف على هذا المنوال من جهة الذين يتألمون. لأن النفوس المريضة تحتاج في علاجها إلى مهارة أكثر من الأجساد المريضة، وعلى العكس لو حدث

أن أحداً تصدر لعلاج النفوس بدون حذر فإن كل فرص شفائها ستلاشى.

احترام الله لحرية الإنسان

٨- أليس هذا مثيراً للدهشة أن نرى البشر يتصرفون بهذه الطريقة، بينما الله بالرغم من قدرته الكلية يستخدم نفس الطريقة المعتادة للأطباء ويتصرف بحرص شديد معنا؟ الله يريدنا أن نكون أنقياء من تلقاء نواتنا وليس عن إجبار أو إكراه، وهذا هو السبب الذي لأجله احتاج أيضاً إلى اللجوء إلى تصرفات متعارضة، ليس لعجز من جانبه، حاشا أن يكون لي هذا الفكر، بل بسبب ضعفنا. وهو في الحقيقة يكفي أن يعمل إشارة أو بالأحرى أن يشاء لتتم كل مقاصده، لكن لأجلنا، إذ لأننا جُعلنا أسياداً على نفوسنا فنحن لا نتحمل أن نطيعه كرهاً واغتصاباً. لو كان هو بالحق يجتذبنا على الرغم منا، لكان قد نزع منا ما أعطاه لنا، أقصد حرية إرادتنا. وعلى ذلك حيث أن الأمر لم يكن هكذا، فإنه لجأ إلى تصرفات متنوعة. وليس اعتباطاً أنني أتكلم هكذا، بل بسبب المواقف المتنوعة لبولس الطوباوي ومهارته. فلذلك عندما تراه يهرب من المخاطر عليك أن تعجب به بنفس القدر كما عندما تراه يذهب لملاقاتها. وفي الحقيقة فإن كان هذا الموقف الأخير علامة على الشجاعة، فإن الموقف الأول (أي هروبه) شاهد على حكمته. وعندما تراه يتكلم بلهجة حازمة عليك أن تعجب به بنفس القدر كما عندما تكون لهجته مخففة، فإن كان في الحالة الأخيرة برهن على تواضعه، فإنه في الموقف الأول دلّ على عظمة النفس. عندما تراه يفتخر عليك أن تعجب به بنفس القدر كما عندما يرفض المدح،

فإن كان الموقف الثاني يكشف عن تواضعه، فإن الموقف الأول ينبع من قلب ممثلي رقة وصلاً. وفي الحقيقة فإن الدافع لكل أعماله هو الاهتمام بتقديم الخلاص للكثيرين.

تواضع بولس

٩- لهذا السبب هو قال أيضاً: "لأننا إن صرنا مختلين فقله، أو كنا عاقلين فلنكم" (١٣: ٥كو٢). بالتأكيد لا أحد مثله له هذه المواقف الضاغطة التي تتيح له الهبوط إلى حمق الكبرياء ولا أحد كان إلى هذا الحد معدوماً من الكبرياء مثله. فلنفتكر في أن "العلم ينفخ" (١كو٨: ١) ونحن كلنا يمكننا أن نقولها معه، لكن العلم كان فيه بدرجة عالية بما لم يملك أحد في العالم مثله أبداً، ومع هذا بدلاً من أن يترك نفسه يسكر به، فإنه بالتحديد وجد فيه أيضاً دافعاً للتواضع. ولهذا السبب قال: "لأننا نعلم بعض العلم ونتبأ بعض التنبؤ" (١كو٩: ١٣)، وأيضاً قال: "أيها الإخوة أنا لست أحسب نفسي أنني قد أدركت" (في٣: ١٣)، وأيضاً قال: "فإن كان أحد يظن أنه يعرف شيئاً فإنه لم يعرف شيئاً بعد" (١كو٢: ٨). الصوم هو أيضاً ينفخ والفريسي أظهر هذا بوضوح عندما قال: "صوم مرتين في الأسبوع". بالنسبة لبولس لم يكن الأمر هكذا من جهة الصوم، بل على العكس هو عاني من الجوع ومع ذلك دعا نفسه بـ "السقط" (انظر ١كو١٥: ٨).

حتى في مدحه الشخصي (لنفسه)

١٠- لماذا نتكلم عن الصوم والعلم بينما كانت له بدون شك محاورات مع الله هكذا مرتفعة ومستمرة لم يكن لأي نبي أو رسول

مثلاً أبداً وكيف أنه أتضع لأجلها بالأكثر؟ لا تكلمني عن تلك التي ذكرناها كتابة، لأنه أصرّ على إخفاء أكثرها، وهو لم يقل كل شيء لكي لا ينسب لنفسه مجداً عظيماً، ومن ناحية أخرى لم يحفظها كلها في طي الكتمان لكي يخلق أفواه الرسل الكذبة. لأن هذا الإنسان لم يتصرف اعتباطاً أبداً لكن دائماً كان له دافع معقول وصائب (فيما يعمل) وقد تابع مقاصده المتعارضة بمنتهى الحكمة التي بها نال على وجه الخصوص نفس المديح. وهذا هو ما أريد أن أقوله: إنها فضيلة عظيمة أن لا يتحدث الإنسان عن نفسه بتعبيرات فيها افتخار، لكنه تصرف هكذا وبكثير من الحصافة حتى أن كلماته استحققت المدح أكثر من صمته. ولو لم يتصرف هكذا لكان يستحق اللوم أكثر من الذين يمدحون أنفسهم بمدح في غير محله. وفي الحقيقة لو لم يكن قد افتخر (في تلك المواقف التي استلزمت ذلك) لكان قد فتر ذكره تماماً (وفقد هيئته الرسولية أمام تلاميذه) ولكان قد قوى جانب أعدائه ورجح كفتهم. إنه عرف على وجه الخصوص كيف يستفيد حسناً من الظروف ويعمل بغرض مستقيم حتى ما هو منتقد ويجعله هكذا مفيداً بأن يستخرج أكبر قدر من الإكرام (لله) أكثر من (إكرامه) بإتمامه الوصايا. نعم إن بولس بافتخاره كان آنذاك يجتنب مجداً (لنفسه) أكثر من أي شخص آخر يُخفي فضائله العظيمة. وفي الحقيقة لم يصنع أحد قدراً من الصلاح بإخفائه استحقاقاته أكثر من هذا الإنسان في إعلانه عمّا له (من فضائل).

١١- ومما يدعو إلى الإعجاب به أكثر ليس فقط ما كشفه (من فضائله)، بل اكتفاؤه بإظهار ما كان ضرورياً. إنه لم يعتبر أن مثل

هذا التصرف يعطيه نريعة للانطلاق في التكلم عن نفسه، ويمكنه استخدام هذه الفرصة كيفما شاء، لا فهو عرف إلى أين يمكنه أن يتقدم. وأيضاً هذا بالتحديد لم يكفه، فلكي يتحاشى إفساد الآخرين بتشجيعهم على امتداح أنفسهم دون سبب، فإنه تصرف أيضاً (كأنه) عن حق، وهو بالحق لم يتصرف بهذه الطريقة إلا عندما ألزمته الضرورة. لكن من الخطر أن الآخرين في ملاحظتهم له يتبعون مثاله بكل سذاجة فيتعرضون للهلاك، وهذا ما نراه يحدث أيضاً للأطباء مراراً وذلك عندما يستخدم الواحد منهم دواء في محله فيجلب الشفاء، أما إن استخدمه آخر في غير محله فإن فاعلية الدواء تفسد وتعرض للخطر.

١٢- لكي لا يكون الأمر هكذا في هذا الظرف، انظر أي احتياطات أخذها بولس عندما كان عليه أن يفتخر ساعياً إلى التملص منه ليس فقط مرة أو اثنتين بل مراراً فقال: "ليتكم تحتملون غباوتي" (٢كو ١١: ١). وقال أيضاً: "الذي أتكلم به لست أتكلم به بحسب الرب بل كأنه في غباوة"، لكن الذي يجترئ فيه أحد أقول في غباوة أنا أيضاً أجترئ فيه" (٢كو ١١، ١٧)، ثم دون أن يكتفي بكل هذه الاحتياطات الكلامية، فعندما كان على وشك أن يركب موجة الاقتحار فإنه أخفي شخصيته بقوله: "أعرف إنساناً في المسيح . . ." (٢كو ١٢: ٢)، وأيضاً قوله: "من جهة هذا أفتخر. ولكن من جهة نفسي لا أفتخر إلا بضعفاتي" (٢كو ١٢: ٥). وننهي هذا بالقول: "قد صرت غيباً وأنا أفتخر. أنتم ألزمتوني" (٢كو ١٢: ١١). لذا إذ نرى هذا القديس العظيم مضغوطاً بضرورة ملحة فإنه يتردد ويتراجع قبل

الشروع في افتخاره مثل حصان لا يتوقف عن الرفس عندما يصل إلى حافة جرف خطير، فلو لم يتحاش الإنسان هذه الطريقة في التصرف (بكونه يفتخر بما صنع) ولا يلجأ إليها إلا في الضرورة القصوى، فهو يكون في منتهى الغباء والحمق حتى لو كانت الأمور التي ينبغي له أن يتناولها مهمة.

١٣- هل تريد أن أظهر لك أيضاً وجهاً آخر من تصرفه في هذا الموضوع؟ الأمر العجيب هو أنه لم يكتفِ بشهادة ضميره، بل أيضاً أراد أن يعلمنا كيفية معالجة مسألة المدح الشخصي تحت كل وجه من أوجهه. فبدلاً من التقيد بالاعتذارات مؤسساً إياها على الضرورة التي وضعتها الظروف، فإنه علّم الآخرين ألا يتملصوا منه لو حدثت ظروف مناسبة دون أن يسعوا مع ذلك إلى ما هو في غير محله. وعبر كلماته فإن بولس أراد أن يقول هذا على وجه التقريب: إنه شر عظيم أن يتكلم الإنسان عن نفسه كلمات فيها افتخار وإعجاب، وهذا يا أخي المحبوب أسوأ درجات الحمق أن يتزين الإنسان بكل أنواع الافتخارات عندما لا يدفعه لهذا أية ضرورة إلا إن كانت ضرورة ملحة جداً، ليس هذا التكلم هو بحسب إرادة الله بل مثل هذا التصرف هو بالأحرى برهان على الحمق، ويضيع أجراً بل وفي نفس الوقت يلاشي كل أتعابنا وجهونا.

هذا هو كل ما أراد بولس أن يقوله للجميع وبالأكثر أيضاً عندما سعى إلى التملص منه بما فيه في حالة الضرورة. وما هو أكثر أهمية أنه حتى في حالة الضرورة بدلاً من أن يتفاخر أمام كل العالم باستحقاقاته فإنه أخفى أغلبها وأعظمها.

"إني آتي إلى مناظر الرب وإعلاناته .. ولكنني أتحاشى لنلا يظن أحد من جهتي فوق ما يراني أو يسمع مني" (٢كو ١٢: ١، ٦).

وبتكلمه هكذا فإنه يعلمنا أنه في كل المواقف وحتى في موقف الضرورة لا نحضر ونُظهر أمام الكل كل ما نعرفه عن نفوسنا، بل نظهر فقط ما هو مفيد لسامعينا.

أمثلة شبيهة

١٤- هذا ما عمله أيضاً صموئيل النبي، وليس اعتباطاً أن نتذكر أيضاً هذه الشخصية القديسة، لأن هنا أيضاً افتخاره قيل لمنفعتنا. ذات يوم افتخر ذاك الإنسان وعرف بعض الأوجه من فضيلته (اصم ١٢: ٥-١٠) لكن ما هي الفضائل التي أعلنها؟ تلك التي يمكن أن تكون نافعة لسامعيه. إنه لم يقل حديثاً مطولاً عن العفة أو عن التواضع أو عن نسيان الإساءات، لكن عن ماذا تكلم؟.

إنه تكلم عن الأمور التي - شاول ملك ذلك الزمان - كان في حاجة ملحة لأن يتعلمها وهو ضرورة الحكم بالعدل ولزوم حفظ يديه نقيتين من الرشوة.

داود أيضاً هو بدوره افتخر، افتخر بما يمكنه أن يضع سامعيه على الطريق المستقيم. وفي الحقيقة إن هذا الإنسان لم يُشر إلى أيّ من مآثره إلا ما صنعه مع الأسد والدب. هذا هو كل ما أظهره ولم يُظهر شيئاً غيره. إن القول بالمزيد كان هو من صنع من هو متباه ومتعجرف، لكن قول ما تتطلبه الضرورة الحاضرة كان علامة على أنه رجل عطوف ينظر لمنفعة أكبر عدد ممكن. وهكذا تصرف بولس

أيضاً، فعندما افترضوا عليه بقولهم إنه لم يكن رسولاً حقيقياً، وأنه لم يكن له سلطان مثل بقية الرسل. لذلك كان مضطراً بسبب هذه التهم أن يأتي إلى التعرض للمستندات التي تبرهن بالأساس على مقامه (وصدق دعوته الرسولية).

١٥- هل ترى أية وسائل استخدمها ليعلم ألا يتباهى الإنسان دون سبب؟

أولاً: لقد أوضح أنه تصرف هكذا عن ضرورة، ثانياً إنه ذهب حتى إلى اعتبار نفسه كعبي واعتذر مرات عديدة، ثالثاً بدلاً من أن يعلن كل شيء، فإنه أخفى الافتخارات الأكثر أهمية وهذا أيضاً في حالة الضرورة، رابعاً إنه اختفى خلف شخصية أخرى متكلماً هكذا: "أعرف إنساناً في المسيح ٠٠" (٢كو ١٢: ٢)، وخامساً إنه لم يظهر أمام كل الناس جميع فضائله، بل أظهر فقط كل ما تطلبه الظرف الحاضر.

اجتراء بولس على التوبيخ

١٦- هذا التصرف

لن نلاحظونه فقط عندما أقتيد إلى الافتخار، بل ستجدونه أيضاً عندما وبخ الناس. ومع ذلك ستقولون: أليس حسناً أن يتمتع الكل عن توبيخ أخ لهم؟ حسناً، هناك أيضاً تصرف بولس هكذا بطريقة صائبة حتى إنه انتزع ثقة عظيمة أكثر من الناس الذين يسهبون في مدح الآخرين. وهوذا لهذا السبب فإنه عامل الغلاطيين مرة على أنهم أغبياء (غلا ٣: ١)، بل أيضاً مرتين، وقال عن أهل كريت إنهم "وحوش ردية

بطون بطلّة (تي ١: ١٢). وأيضاً طريقة التكلم هذه آلت جداً إلى مدحه. وهو في الحقيقة رسم لنا حداً وقاعدة، بحيث أنه في وجود الناس الذين يهملون الله، فبدلاً من اللجوء إلى المداراة يمكننا أن نستخدم لهجة صارمة بما فيه الكفاية. وهكذا لكل موقف نجد عنده المكيال المناسب. لهذا السبب في كل أعماله كما في كل أقواله، فإنه كان محل ثقة (سواء) عندما يحتد أو عندما يمتدح أو عندما يظهر اشمئزاه أو عندما يستخدم المداراة أو عندما يمجّد شخصه أو عندما يتضع أو عندما يفتخر أو عندما يتقدم كفقير بائس. ولماذا تتدهش لفكرة أن الإساءة والإهانة ينبغي أن يكون لهما الاعتبار، بينما في الحقيقة القتل نفسه كان له هذا الاعتبار وبالمثل الغش^٧ والاحتيال في العهد القديم كما في المهارة والمكر في العهد الجديد؟

حث أخير

١٧- فلننحصر بتمعن شديد كل طرق التصرف هذه ثم نبدي إعجابنا ببولس ونمجّد الله ونحن أيضاً نقود أنفسنا بالمثل معه لكي ننال لأنفسنا كل الخيرات الأبدية بنعمة ومحبة ربنا يسوع المسيح الذي له المجد والقوة الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

٧- إن كتابات كثيرة في العهد القديم امتدحت الغش (تك ٢٧؛ يهوديت ١٠: ١١-١٣؛ ١١: ١١-١٣؛ ١٢: ١٥-٢٠). وأيضاً القتل عندما كان الشخص الذي يتم هذا الفعل يهدف إلى إنقاذ المسحوقين أو لحفظ الإيمان في إسرائيل (انظر ١ صم ١٧: ٣٨-٥٤؛ ١ مل ١٨: ٢٠-٤٠؛ ٢ مل ١١: ٩-٢٠؛ يهوديت ١٣: ٤-٢٠؛ ١ مل ٢: ٢٣-٢٦). وفي العهد الجديد يوجد في إطار الأمثال مدح للمهارة والمكر (انظر لو ١٦: ٩-١٠)، ونحن نعلم أن التركيز كان على الوداعة والمحبة والمغفرة للأعداء (مت ٥: ٣٠-١٢؛ ٦: ٤٣-٤٨؛ لو ٦: ٢٧-٢٨) وهذه هي الأشياء التي عن طريقة نعمة المسيح تُعطى القوة لإتمامها.

العظة السادسة

تكفيك نعمتي

(الخوف من الضربات (الجلد)

١- هل تريدون اليوم - يا أحبائي - أن نترك جانباً الفضائل العظيمة والعجيبة لبولس ونضع نصب أعيننا ما يبدو وكأنه يعطي للبعض إلى حد ما حجة للهجوم عليه، وسنرى أن هذه الذرائع نفسها هي بنفس القدر مثل بقية الحجج الأخرى تجعله مشهوراً وعظيماً. فما هي هذه الأشياء التي تعطي ذريعة للهجوم؟

إنهم يقولون (إن هذا حدث) عندما رأوه ذات يوم وقد خاف من الضرب بالسياط. نعم، هو رئي وقد خاف عندما مدوه للسياط (أع ٢٢: ٢٥) وليس فقط في هذا الموقف، بل في مرة أخرى في قصة بائعة الأرجوان عندما سبب متاعب لمن أراد إخراجه من السجن (انظر أع ١٦: ٣٥ - ٤٠). ويدّعي أولئك أنه بتصرفه بهذه الطريقة لم يكن له غرض آخر سوى تأكيد أمنه الشخصي، وتحاشي الوقوع أيضاً في نفس البلايا. فبماذا يمكننا أن نجيب؟

لا شيء يمكنه أن يُظهر عظمته غير العادية أكثر من هذه المواقف المذكورة، والبرهان هو إذ أن له مثل هذه الشخصية اللطيفة والممتلئة بالرشد والحصافة وله جسد ذو مناعة قليلة مقابل الضربات (بالسوط)، فإن كان ارتعب هكذا أمام السياط، فإنه ازدرى أيضاً بالقوات غير الجسدانية وكل ما يُعتبر أنه مُرعب عندما تطلب الأمر ذلك.

عندما تراه منكشاً ومرتباً، تذكر تلك الكلمات الشهيرة التي بفضلها اخترق السماوات وتنافس مع الملائكة: "من سيفصلنا عن محبة المسيح. أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم غري أم خطر أم سيف؟" (رو ٨: ٣٥). تذكر هذه الكلمات عندما أكد أن هذه (كلها) كلا شيء: "لأن خفة ضيقنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً. ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي ترى بل التي لا ترى" (٢كو ٤: ١٧-١٨). أضف أيضاً الشدائد والضيقات اليومية، وكذلك الموت الذي احتمله كل يوم (١كو ١٥: ٣١)، وفي تفكيرك فيها أظهر إعجابك ببولس ولا تخر بعد.

٢- لأن هذا الذي يبدو ضعفاً في الطبيعة هو بالتحديد البرهان الأقوى على فضيلة هذا الإنسان، إذ أنه صار عظيماً دون أن تطغى عليه الضعفات التي نشترك فيها جميعاً بحكم الطبيعة. إن فيض الأخطار التي تعرض لها قد توحى للكثيرين الذين ربما تشككوا فعلاً في أنه صار عظيماً بسبب أنه كان أعلى من بقية الناس، ولهذا قد أعطي أن يتألم حتى تعرف أنه مع كونه في المستوى الطبيعي مثلنا، أي على درجة متساوية مع المائتين، ولكن على مستوى الإرادة ليس فقط فاقهم بل إنه بلغ إلى مرتبة الملائكة. في الحقيقة كان للقديس بولس نفس مثلنا وجسد مثلنا، ومع أنه واجه ميئات كثيرة، إلا أنه استهان بكل الأخطار سواء الحاضرة أو المستقبلية، وتكلم إلى الذين كرز لهم بكلمات في منتهى القوة والعجب: "فإني كنت أود لو أكون أنا نفسي محروماً من المسيح لأجل إخوتي أنسبائي حسب الجسد" (رو ٩: ٣).

قوة الإرادة

٣- باستطاعتنا أن نسود على أي اضطراب طبيعي فينا وذلك بقوة الإرادة بشرط أن نريد ذلك، لا يوجد شيء مستحيل لمن يملك المسيح فيهم. لو أننا أحضرنا إلى جانبنا كل الغيرة (والنشاط) التي في مقدورنا، فإن الله سيجعل الكفة تميل بقوة لصالحنا وهكذا نصير محصنين ضد كل الأخطار التي تهاجمنا.

لا، ليس الخوف من الضربات (بالسوط) هو الذي يستحق الإذانة، لكن كون الإنسان يتصرف خوفاً من الضربات بطريقة لا تليق بإنسان متدين، بحيث أن من يظل صامداً وثابتاً في المحن رغم خوفه من ضربات السوط فهو يكون مثيراً للإعجاب أكثر من الذي لم يخف منها. في الحقيقة، في هذه الظروف (المواقف) تتلأأ الإرادة بالأكثر: فإن كان الخوف من الضربات يأتي من رد الفعل الطبيعي، فكون المرء يتصرف كما يليق بمحبته لله بالرغم من الخوف الطبيعي، فهذا يكون نابعاً من الإرادة التي تصحح دونية الطبيعة وتتنصر على ضعفها. لهذا السبب إذا حزن الإنسان لأمر ما، فليس في هذا لوم عليه، بل من يتكلم أو يتصرف بسبب هذا الحزن بطريقة لا ترضي الله فهذا هو الأمر الذي يُدان عليه الإنسان.

بالتأكيد لو قلت لك إن بولس لم يكن إنساناً لكان يجوز لك أن تضع نصب عينيك نقائص طبيعته بنية أن تدحض كلامي. لكن لو قلت وأكدت لك بقوة أنه مع كونه إنساناً فهو له طبيعة لا تفوق التي لنا، و(لكن) كانت له أرادة أقوى جداً من التي لنا فعبثاً تقدر أن تقدم مثل هذا الاعتراض، بل لن نتنزع به أبداً، لأنه في صالح بولس. فأنت

تُظهر بنفس هذا الاعتراض إلى أية درجة من العظمة أدركها هذا الإنسان حتى إلى درجة امتلاكه لقوة أقوى من التي لنا، مع أنه في الطبيعة التي نتشارك فيها جميعنا. ولن نكتفي بتمجيده بل في نفس الوقت تستد أفواه الذين عجزوا عن تقديم أدلة ليحطوا بها من سمو طبيعته بل على العكس تدفعهم إلى الرجوع إلى هذه القوة الوثابة التي تجد مصدرها في الإرادة.

الخوف من الموت

٤- لكن هل حدث له أنه خاف أيضاً من الموت بدون أدنى شك إنه خاف، وهذا أيضاً كان من فعل الطبيعة (البشرية). ومع هذا فنفس هذا الإنسان الذي خاف من الموت هو الذي قال العكس وهو: "فإننا نحن الذين في الخيمة نئن مثقلين" (٢كو٥: ٤)، وأيضاً قال "نحن أنفسنا أيضاً نئن في أنفسنا" (رو٨: ٢٣). هل تلاحظ كيف أنه في مقابل ضعف الطبيعة، يقدم القوة التي تعطيها الإرادة؟ هذا هو السبب الذي لأجله يحدث لكثير من الشهداء وهم على وشك أن يتم اقتيادهم إلى العذاب أن يشحب لونهم أيضاً أمام الموت ويمثلون من الخوف والضيق، لكن لهذا السبب بالتحديد هم أيضاً مثيرون للإعجاب، إذ بينما هم يخافون الموت، لكنهم مع ذلك لا يهربون منه لأجل يسوع. بالمثل فإن بولس مع خوفه من الموت لم يرفض حتى جهنم (انظر رو٩: ٣) لأجل يسوع، هذا الذي أحبه بشغف شديد، ومع أنه ارتعب

٨- لم يعط ذهبي الفم مثلاً لهذا، ولعله يشير إلى الآية: "أنا أرى أن هذا السفر عتيد أن يأتي بخسارة ... بل لأنفسنا أيضاً" (أع٢٧: ١٠). أو لعله يقصد هذا عندما أرسل بولس ابن أخته ليخير قائد المائة في أورشليم عن مكيدة قتله؟ أو ربما عندما تدل من سل من سور دمشق.

من فكرة موته، لكنه رغب أن يغادر العالم (في ٢٣: ١)، لم يكن هو فقط الذي اختبر مثل هذه المشاعر بل أيضاً المتقدم في الرسل (بطرس): فبعد أن أعلن مراراً أنه كان مستعداً لأن يبذل حياته، فإنه خاف بشدة من الموت. اسمع مثلاً بأي عبارات تكلم معه المسيح حول هذا الموضوع: "متى شخت فإتك تمد يديك وآخر يمنطقك ويحملك حيث لا تشاء" (يو ٢١: ١٨)، وهو هنا يشير إلى ضعف الطبيعة وليس إلى ضعف الإرادة.

٥- إن تأثير الطبيعة يظهر دائماً على الرغم منا، ولا يمكن لإنسان أن ينتصر على هذه النقائص ولا حتى الذي له إرادة قوية وغير ملتعبة. إذا فالطبيعة الضعيفة لا تسبب لنا أي ضرر بل هي بالنسبة لنا موضع إعجاب أكثر.

أي اتهام خطير يقدمه (ضدنا) الخوف من الموت؟ وعلى العكس أي دافع للمدح (نحوزه)؟ إذ على الرغم من الخوف من الموت لا نقبل أي وضاعة في الأحاسيس. لأن ليس امتلاك طبيعة بنقائصها هو الذي يجلب الملامة، بل الذي هو عبد لهذه النقائص، بحيث أن الذي يتفادى (حرفياً يقوم) للضرر الذي يمكن أن تحدثه لنا النقائص بواسطة قوة إرادته هو بدون شك إنسان عظيم ومثير للإعجاب. وهو بهذا يظهر لنا ما هي قوة الإرادة ويخلق أفواه الذين يقولون: لماذا لا نكون أتقياء بالطبيعة؟ ما هو الفرق بين أن نكون أتقياء بالطبيعة أم بالإرادة؟ لكن شتان الفرق بين الاثنين فالحالة الأخيرة أسمى بكثير إذ هي التي تجلب الأكاليل والمجد العظيم.

الإرادة ترفع الإنسان فوق طبيعته

٦- لكن الإنسان الثابت، هل ثباته آتٍ من الطبيعة؟

إن الثبات الآتي من الإرادة المكتسبة هو ثبات أقوى. ألم تر كيف أن أجساد الشهداء نفذ فيها السيف، ومع أن طبيعتهم تراجعت أمام السيف لكن إرادتهم لم تنتن ولم تترك نفسها تهزم؟ قل لي ألم تلاحظ فيما يختص بإبراهيم كيف أن إرادته تغلبت على طبيعته عندما صدر إليه أمر بذبح ابنه، وكيف وضح أن الإرادة كانت أقوى من الطبيعة؟ ألم تتيقن من نفس النتيجة للثلاثة فتية؟ ألم تسمع أيضاً المثل الدارج لدى الوثنيين وهو أن الإرادة تصير طبيعة ثانية بحسب التعود؟ وبالنسبة لي فأنا بالأحرى أؤيد الأولى (أي الإرادة) كما أظهرت هذه الأمثلة السابقة المذكورة.

هل تدرك أنه من الممكن أن تقتني أيضاً ثبات الطبيعة بشرط أن تكون الإرادة سخية ويقظة، وبذلك فأنت تنال مديحاً عالياً عندما تميل لأن تكون تقياً وعندما تريد هذا (من نفسك) أكثر ما عندما يفرض عليك هذا الأمر.

بولس واعٍ لضعفه

٧- أما الأمر النافع على وجه الخصوص فهو ما قاله بولس: "أقمع جسدي وأستعبده ٠٠" (١كو٩: ٢٧)، فأنا أمتدحه إذ أراه يجاهد ويكد في ممارسته للفضيلة، لذلك فكل الذين يأتون بعده لا يمكنهم

الاعتذار بتساهله لتبرير تراخيهم. وأنا أيضاً أضفر له إكليلاً لإرادته عندما قال أيضاً: "أنا صُلبت للعالم" (انظر غلا:٦:١٤).

نعم، إنه من الممكن جداً الإقتهاء بقوة الطبيعة (البشرية) بتدريب شديد للإرادة.

ولو وضعنا نصب أعيننا هذا الإنسان الذي هو نفسه نموذج للفضيلة، فإننا نؤكد أنه جعل الصفات التي امتلكها بمقتضى إرادته، ثابتة أيضاً في قلبه كما لو كانت طبيعية فيه.

٨- بالتأكيد هو تألم عندما ضرب، لكنه استخف بهذه الآلام بقدر أكثر من استخفاف القوات غير الجسدانية التي لا تعاني الألم، كما يمكن ملاحظة هذا بحسب كلماته التي تبدو أيضاً أنها ربما توغر إلينا أنه لم يشاركنا طبيعتنا. وفي الحقيقة، إنه عندما قال: "العالم صُلب لي كما أنا للعالم" (غلا:٦:١٤)، وأيضاً عندما قال: "مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في" (غلا:٢:٢٠) فما هذا الذي أراد قوله سوى أنه هجر (كل شيء) حتى جسده؟ وأيضاً عندما قال: "أُعطيت شوكة في الجسد ملاك الشيطان ليظمني" (٢كو١٢:٧)، هذا التعبير ليس له معنى آخر سوى أنه يشير إلى أن آلامه كانت قاصرة فقط على جسده. ولن نذهب إلى القول بأنه كان منيعاً ضد الآلام، لكنه بقوة إرادته الصلبة دفعها عنه ومنعها من الدخول (إلى نفسه).

وأيضاً عندما نطق بكلمات أخرى مثيرة للإعجاب أكثر من تلك عندما ابتهج بضربات السياط وافتخر بقيوده (٢كو١١:٢٤-٢٥؛ في١:١٢-١٤).

أي معنى آخر يمكن أن تعطيه الأقوال التي هي مثل هذا القول: "أقمع جسدي وأستعبده حتى بعدما كررت للآخرين لا أصير أنا نفسي مرفوضاً" (١كو٩: ٢٧) سوى أنه يشير إلى ضعف طبيعته، لكن عندما فاه بالكلمات التي ذكرتها سابقاً، فإنه يتأكد لنا عظمة (قوة) إرادته.

النعمة والإرادة

٩- فيها نحن نرى أن كلا العنصرين وجدا لديه دفعة واحدة، لئلا أمام صفاته العظيمة تظن أنه كان من طبيعة غير طبيعتنا وتصغر نفسك، أو عندما ترى أن أعماله أقل قدراً (عما هو مطلوب) فتدنين هذه النفس القديسة. بل على العكس، لكي أمام هذا النموذج تطرد اليأس وتتهمك شخصياً فيما هو لخلصك على طريق الرجاء. لهذا السبب نجده قد انشغل بالكلام عن دور نعمة الله بتعبيرات فائضة، أو بالأحرى ليس بفيض بل بحكمة ليدعوك إلى التفكير أن لا شيء أتى منه (شخصياً بل الكل هو من الله). لكنه أكد أيضاً دور إرادته لئلا إذا نسبت كل شيء إلى الله تمضي وقتك وأنت تغط في نوم عميق. وهكذا ستجد لديه تماماً المكيال والقاعدة لكل شيء.

الصرامة نحو البعض

١٠- لكنك ستعترض أيضاً أنه دعا يوماً على إسكندر النحاس. وماذا في هذا؟ في الحقيقة، هذا الكلام لم يكن مبعثه الغضب، لكنه قاله بوداعة وللدفاع عن الحق. وهذا لم يكن بسبب أنه تأذى منه شخصياً إنما لأن هذا الإنسان قاوم الكرازة بالإنجيل وهو قال: إنه لم يقاومني أنا بل قاوم أقوالنا جداً (انظر ٢ تي ٤: ١٥) وهذا الدعاء (على إسكندر

النحاس) ليس فقط أثبت محبته المثلثة للحق، بل أيضاً أراح التلاميذ. وفي الحقيقة فإن كل المسيحيين كانوا معثرين بسببه، إذ كانوا يرون الذي يسعى إلى الإساءة إلى الكلمة لا يعاني أية ضيقة فهذا السبب هو تكلم هكذا.

لكنه أحياناً لعن آخرين عندما قال: " إذ هو عادل عند الله أن الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقاً" (٢تس ١: ٦). ليس معنى هذا أنه يرغب لهم العقاب، حاشا لله، لكنه يجتهد في أن يعزي من أُسيئت معاملتهم. لهذا السبب أضاق أيضاً قوله: "وإياكم الذين تتضايقون (تجدون) راحة" (٢تس ١: ٧). وعندما يكون هو نفسه الذي يقاسي المسبة، فاسمعوه وانظروا حكمته في طريقة رده على الهجمات إذ يقول: "تُسْتَم فَنُبَارِك، نَضْطَهْد فَنَحْتَمَل. يُفْتَرَى عَلَيْنَا فَنَعِظْ" (١كو ٤: ١٢-١٣). زيادة على ذلك، لو ادَّعيت أن كلماته أو أعماله من جهة الآخرين كانت نابعة من غضبه، فينبغي عليك في تلك اللحظة القول أيضاً بأن بولس وهو واقع تحت تأثير الغضب أعمى عليم الساحر وسبّه (أع ١٣: ٩-١١)، أو نقول أيضاً أن غضب بطرس هو الذي حرّضه على إماتة حنانيا وسفيرة (أع ٥: ٣-٥؛ ٩-١٠) لكن لا أحد ينقصه الذكاء أو الإحساس السليم إلى درجة قبول مثل هذا الكلام. نحن نؤكد أيضاً أن بولس في مواقف كثيرة تصرف بطريقة يبدو صعب احتمالها، لكن هناك على وجه الخصوص أظهر صلاحه. فمثلاً عندما سلّم الزاني الذي من كورنثوس للشيطان، فإنه تصرف هكذا بمحبة عظيمة وقلب ممثلي رقة، وأظهر هذا جيداً في رسالته الثانية. بالمثل عندما زجر اليهود بقوله: "قد أدركهم الغضب (الإلهي)

إلى النهاية" (مت ٢: ١٦)، فهو تصرف هذا ليس لأنه امتلاً بالغضب -
لأنك على كل حال ستسمعه يصلي دائماً لأجلهم - بل (قال هذا) لأنه
أراد أن يثبت فيهم المخافة والحكمة الروحانية الرفيعة المستوى.

سبّ رئيس الكهنة

١١- لكن يقال إنه سبّ رئيس الكهنة بهذه الكلمات: "سيضربك الله
أيها الحائط المبيض" (أع ٢٣: ٣).

إنني أعلم أن البعض لكي يبرروا هذه الكلمة أكدوا أنها كانت نبوة،
وأنا لا ألوم الذين يقولون بهذا، ففي الحقيقة إن هذا الحدث قد تم وكان
أنه مات بهذه الطريقة^٩.

لكن لو أن أحد المعارضين ماحك بالأكثر ولم يوافق على هذا
وجادل ونقض هذا الرأي بقوله: حتى لو اعترفنا بأنها نبوة فلماذا دافع
بولس عن نفسه بقوله: "لم أكن أعرف أيها الإخوة أنه رئيس كهنة"
(أع ٢٣: ٥). فإننا نجيب بأن هذا كان لتعليم الآخرين والتنبيه عليهم أن
يكون لهم مشاعر لاثقة نحو من هم في السلطة، فهكذا المسيح نفسه
صنع. في الحقيقة، إن من بين الكلمات الكثيرة التي نطقها المسيح
بخصوص الكتبة والفريسيين قوله: "على كرسي موسى جلس الكتبة
والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه" (مت ٢٣: ٢-٣).
هكذا أيضاً بولس في هذا الموقف احترام كرامة شخصية
رئيس الكهنة وفي نفس الوقت تنبأ عن المستقبل.

٩- قُتل رئيس الكهنة هذا سنة ٦٦م في بداية الثورة اليهودية على الرومان.

بولس ويوحنا مرقس

١٢- حقاً إن بولس انفصل عن يوحنا مرقس ظاناً بهذا أن ما يعمل هو لصالح الكرازة بالإنجيل. إذ أنه يلزم لمن يقبل هذه الخدمة ألا يظهر أي تقاعس ولا يخور بل ليكن شجاعاً وقوياً، وألا يتقدم لهذه المهمة النبيلة إن لم يكن بالمقابل مستعداً أن يسلم نفسه ألف مرة للموت والمخاطر كما أعلن هذا المسيح صراحة بقوله : "إن أراد أحد أن يأتي ورائي فليترك نفسه ويحمل صليبه ويتبعني" (مت ١٦: ٢٤). لأنه إذا لم يكن مهياً هكذا فإنه يتخلى بنذالة عن كثير من الناس الآخرين (أي رعيته)، ومن الأصلح له عندئذ أن يظل هادئاً (في حاله) ولا ينشغل إلا بنفسه عن أن يجلس في الصدارة ويتقبل مهمة تفوق إمكانياته، فهو نفسه سيهلك وفي نفس الوقت سيهلك معه كل الذين عهدوا إليه.

أليس من الغريب أن ترى إنساناً يجهل مهنة القبطان وكيفية الصراع ضد الأمواج، ثم يقبل أن يجلس أمام عجلة القيادة بسبب أن الناس أجبروه على هذا! ومن ناحية أخرى، نرى إنساناً يقبل باستهتار أن يشارك في الكرازة بالإنجيل دون مراعاة مستواه الروحي بالرغم من أن المهمة يمكن أن ينتج عنها ميئات كثيرة.

لا، لا القبطان ولا من يصارع ضد الوحوش ولا من اختار مهنة المصارعة ولا أي أحد آخر ينبغي أن تكون له نفس مهية للنزال ضد كل أنواع الميئات والعذابات بنفس القدر مثل ذاك الذي تكفل بالكرازة بالإنجيل. لأن الأخطار - هنا في حالة الكرازة - أكثر شدة والمقاومين من الصعب جداً هزيمتهم، ولن يتعلق هذا بعذابات عادية فالإكليل هو

السماء كمكافأة لمن يفوز وجهنم كعقوبة لمن يخفق، وبالاختصار الهلاك أو خلاص النفس. فضلاً عن ذلك فإنه ليس فقط ينبغي على الكارز بالإنجيل أن يكون هكذا مستعداً للزوال، بل أيضاً المؤمن البسيط، لأن وصية الإنجيل بحمل الصليب وتبعية المسيح هي أمر لكل بدون استثناء، فإن كان هذا أمراً للكل، فكم بالأولى للمعلمين والرعاة والذين بالتحديد يشاركونهم في تلك اللحظة يوحنا المدعو مرقس. لهذا السبب تم استبعاده عن حق. لأنه بعد أن وضع نفسه على خط القتال في صميم المقدمة، فإنه تصرف هناك برخاوة كثيرة وهذا هو السبب الذي لأجله أبعدته بولس عن الآخرين حتى لا يحطم تراخيهم تقدم جهودهم.

١٣- وإن قال لوقا إنه حصلت بينهم مشاجرة (أع ١٥: ٣٩)، فأنا لا أرى في هذا دافعاً للملامة. وفي الحقيقة ليس موضوع تشاجر بولس وبرنابا هو علامة على سوء النية، ولكن قد يكون الأمر هكذا عندما يُمارس بدون سبب وبدون دافع يجيزه. والكتاب يقول: "الغضب الظالم" "لن يكون بدون عقاب" (بن سيراخ ١: ٢٢). وهذا ليس مجرد غضب بل غضب ظالم. والمسيح بدوره قال: "كل من يغضب على أخيه باطلاً." (مت ٥: ٢٢)، ولم يقل "كل من يغضب على أخيه" وحسب. والنبى أيضاً قال "اغضبوا ولا تخطئوا" (أفسس ٤: ٢٦). وفي الحقيقة إن كان لا ينبغي استخدام هذه الغريزة، حتى عندما يتطلب الموقف ذلك، فعبثاً وباطلاً قد جُعِلت في طبيعتنا، لكنها لم تُجعل في طبيعتنا عبثاً. ولهذا السبب غرس الخالق هذه الغريزة فينا بقصد تقويم

١٠- أي الغضب الذي ليس في عمله وليس له ما يبرره.

الخطاة ولإيقاظ المتكاسل والمهمل لنفسه ولكي يقيم من النوم من هو مستغرق فيه أو يحيا في التراخي، ومثل نصل السيف قد وضع الله في قلبنا حمية الغضب لكي ننتفع بها عندما توجب الضرورة. وهذا هو السبب الذي لأجله استخدمه بولس مراراً، وعندما غضب كان أكثر جدارة بالغيرة عن الذين حديثهم مصحوب بالوداعة، لأنه تصرف دائماً بحسب ما تتطلبه تلك اللحظة من أجل مصلحة الكرازة بالإنجيل. فليست الوداعة وحسب في حد ذاتها فضيلة، بل هي أيضاً الموقف الذي تستدعيه المناسبة.

ولو لم توجد هذه المناسبة، فإن الوداعة تصير نوعاً من التراخي والغضب يكون نابغاً من الكبرياء.

حث أخير

٤ - إنني لم أقل كل هذا لأدافع عن بولس، فهو ليس بحاجة إلى دفاعنا، فهو لم ينل مدحه من الناس بل من الله. بل قصدنا كان تعليم السامعين أن يستخدموا كل شيء في اللحظة المناسبة كما قلت هذا من قبل. وهكذا يمكننا أن نستخدم كل فرصة لمنفعتنا ونرسو ونحن محملون بالخيرات في الميناء الذي لا يعرف أمواجاً ونحصل على الأكاليل المجيدة وليتأ نكون مستحقين لهذا بنعمة ومحبة ربنا يسوع المسيح الذي له المجد والقوة الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

العظة السابعة

جاهدت الجهاد الحسن

العَلَمُ الحامل للمسيح

١- في كل مرة ، الذين يحملون أعلام الإمبراطور يعلنون عن قدومه إلى المدينة بصوت الأبواق ويكونون مسبوقين بجنود كثيرين، فيهرع كل الناس كالعادة ليسمعوا صوت البوق ويرون العلم المرتفع في الهواء، كذلك يبديون إعجابهم بحامل العلم. وهكذا يفعل بولس اليوم ليدخل ليس مدينة واحدة بل في العالم كله، فلنجر نحن أيضاً سوياً نحوه.

فهو في الواقع أيضاً حمل علماً، ليس لملك أرضي بل حمل صليب المسيح ملك السماء. والذين يسيرون أمامه ليسوا بشراً بل ملائكة مهتمين بإكرام الشعار المحمول (الصليب) ويحفظون من يمسه بيده. وفي الحقيقة إن كان الذين هم غير مهتمين إلا بحياتهم فقط ولا يقومون بأي عمل عام يُرسل لهم رب الكون ملائكة تحميهم كقول يعقوب: "الملاك الذي خلصني" (تك ١٥: ٤٨-١٦)، فكم بالأولى عندما يتعلق هذا بمن نالوا مسئولية خلاص العالم كله وحاملين لمثل هذا القدر العظيم من النعمة، تكون القوات السماوية إلى جانبهم.

من المؤكد أن من يعتبرهم السلطان الزمني جديرين لمثل هذه الكرامة يرتكون ثياباً خاصة وطوقاً من الذهب ويتألاؤن تماماً. أما بولس فقد كان على العكس مقيداً بسلاسل بدلاً من الطوق الذهب وكان حاملاً للصليب جائعاً مضطهداً ومضروباً.

٢- لكن لا تحزن - يا صديقي الحبيب - لأن هذه الحلي الأخيرة (السلاسل) هي أسمى من الأخرى وأكثر عظمة وهي التي يحبها الله. لهذا السبب لم يتضرر بولس من حملها. لذلك كان هذا أمراً فوق المعتاد أن القيود وضربات السوط جعلته متلائماً أكثر من لباس التاج ورداء الأرجوان. نعم، كان بولس أكثر تالئاً، وكلامي ليس فيه تهويل كما تشهد بهذا ملابسه. لأنه لو وضعت على أحد المرضى آلاف التيجان وملابس فاخرة من الأرجوان فلن يمكنك أبداً أن تجعل الحمى تتركه، وبالمقابل فإن ملابس بولس (أع ١٩: ١٢) بمجرد أن تلامس أجساد المرضى تخرج منها الأمراض وهذا حق.

ألا يهرب اللصوص بلا رجعة عند رؤيتهم لعلم الأمير بدلاً من الاقتراب منه؟ حسناً فكم بالأولى تهرب الأمراض والشياطين عند رؤيتها ذلك العلم الفائق. زيادة على ذلك إن كان بولس يحمل هذا العلم فهذا ليس لكي يكون هو الوحيد الذي يمسكه بيده، إنما لكي يقتدي به الكل وليعلمهم كيف يحملونه. لهذا السبب هو قال "كونوا متمثلين بي معاً. . . كما نحن عندكم قدوة" (في ٣: ١٧)، وأيضاً قال: "وما تعلمتموه وتسلمتموه وسمعتتموه ورأيتموه في فهذا افعلوا" (في ٤: ٩). وأيضاً: "لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضاً أن تتألموا لأجله" (في ١: ٢٩).

وفي الحقيقة، إن كانت كرامات الحياة الحاضرة تبدو أكثر عظمة عندما تتجمع حول شخصية وحيدة، فالعكس هو الصحيح على المستوى الروحي، إذ أن الكرامة تلمع ببهاء خاص عندما يتشارك كثيرون في مستواها الرفيع، عندما لا يكون المشارك فيها وحيداً بل يتنعم معه كثيرون بنفس النعم. وها أنت ترى أن الكل يحملون علم

المسيح وكل واحد يذهب حاملاً اسمه أمام شعوب وملوك، وإن بولس نفسه قد تحدى جهنم وتحدى العقوبة. لكن هذه الأشياء امتنع بولس عن أن يطلبها من أحد، لأن هؤلاء الناس لم يكونوا يطيقون حملها.

كرامة الجسد

٣- هل تتركون أي درجة من الفضيلة يمكن أن تصل إليها طبيعتنا وكيف أن لا شيء أثنى من الإنسان وهو مازال في حالته المائتة؟ من يمكنه أن يذكر لي من هو أسمر من بولس أو حتى يساويه؟ كم أن الملائكة ورؤساء الملائكة لا يساؤون الإنسان الذي تبني مثل هذه اللغة! ذاك الذي (وهو) في جسد مائت وفان قد ضحى لأجل المسيح بكل ما يملك بل وأكثر مما يملكه - لأنه ضحى بالأشياء الحاضرة والأشياء الآتية بالعمق والعلو وكل خليفة أخرى (رو٨: ٣٨-٣٩). لو كان ذلك الإنسان له طبيعة غير جسدانية، هل كان باستطاعته أن يقول أو أن يعمل شيئاً أكثر؟!.

فإن كنت أنا أبدي إعجاباً بالملائكة، فهذا لأنهم أُعْتَبِرُوا جديرين بالكرامة التي نالوها وليس لأنهم كانوا عادمين من الجسد. فالشيطان في الحقيقة ليس له جسد أيضاً ولا يرى ومع هذا فهو أسوأ كل الكائنات لأنه أساء إلى الله الذي خلقه. وعلى ذلك نحن نؤكد أيضاً أنه إن كان البشر تعساء، فهذا ليس لأنهم لا لبسون جسداً - حسبما نزع - لكن لأنهم لم يستخدموه كما ينبغي. بولس أيضاً كان لابساً جيداً فمن أين أتته مثل هذه العظمة؟.

إنها أتته من نفسه ومن الله بأن واحد. فإن كانت قد أتته من الله فهي لأنها في نفس الوقت من نفسه، لأن "الله لا يقبل الوجوه"

(أعمال ١٠: ٣٤). فإن قلت آنذاك: لكن كيف يمكن الإقتداء بأناس مثله؟ فاسمع ما أعلنه: "كونوا متمثلين بي كما أنا بالمسيح" (١كو ١١: ١) فهو قد اقتدى بالمسيح وأنت ألا تستطيع أن تكون مثل من كان هو أيضاً عبداً؟ هو سعى إلى أن يباري ربه ويقّدي به وأنت ألا تستطيع أن تصنع هذا مع من هو عبد مثلك؟ أي نوع من الأعداء يمكنك أن تقدمه؟

موقفان من خدمته

أ- في دمشق

٤- لكن قل لي كيف يمكن الإقتداء بالمسيح؟ هلموا لاحظوا تصرفه في هذا الأمر منذ البدء وتعمقوا في خطواته الأولى. بمجرد خروجه من المياه الإلهية (للمعمودية) فإنه صعد منها بمثل هذا الالتهاب والحماس حتى أنه لم يكن له صبر لأن ينتظر معلماً، وهو في الحقيقة بدون أن ينتظر بطرس وقبل أن يذهب للقاء يعقوب أو أي شخص آخر (غلا ١٧: ١) محمولاً بغيرته فإنه ألهب هكذا المدينة حتى أنها أثارت ضده حرباً عنيفة (أع ٩: ٢٠-٢٥؛ ٢كو ١١: ٣٢-٣٣).

إن بولس أتم أعمالاً تفوق مستواه وهو لم يزل يهودياً متعصباً إذ كان يوثق بالقيود ويزج في السجون وبصادر الممتلكات للمسيحيين (أع ٩: ١-٢؛ ٢٢: ٤-٥؛ ٢٦: ١٠-١١). كذلك موسى دون أن ينال التكليف شخصياً أوقف ظلم الغرباء ضد مواطنيه. فهذا التصرف كان علامة على نفس نبيلة وقلب عظيم لم يطق أن يحتمل بصمت مصائب الآخرين حتى لو لم ينل تكليفاً بهذا. كون موسى محقاً في الاندفاع إلى وظيفة المحاماة عن رفقاءه، فإله قد أظهرها فيه بتعيينه لهذه المهمة

فيما بعد. وهذا ما فعله أيضاً مع بولس لأنه هو أيضاً تصرف بدءاً من تلك اللحظة في تعليم الكلمة (الإلهية)، والله أظهره برفعه مباشرة إلى رتبة المعلمين.

الاهتمام بإخوته

٥- في الواقع، لو كان المتقدمون لهذه المهام الخلاصية ييغون اقتناء الكرامات وحق التقدم والصدارة، لكن حيث إنهم أحبوا الاندفاع نحو المخاطر وانجنبوا لكل أنواع المهالك المميتة بنية تخليص الآخرين، الكل بلا استثناء، فمن خاطر بحياته إلى هذه الدرجة حتى يجلب لنفسه مثل هذه الغيرة (المتعبة)؟.

في الحقيقة فإنهم تصرفوا هكذا، لأنهم رغبوا بمنتهى الإخلاص في خلاص من كانوا هالكين: وهذا ما أظهره حسناً قرار الله (باختيارهم)، وما أظهره أيضاً هلاك التعساء بسبب ولعهم لمراكز الصدارة عن غير استحقاق. كثيرون اندفعوا نحو السلطان ونحو وظيفة من الطراز الأول، لكن جميعهم هلكوا، فمنهم من صار فريسة للنيران (قض ٩: ٤٩)، ومنهم من ابتلعهم زلزال أرضي (عد ٣١: ٣٢) فهؤلاء بدلاً من اندفاعهم نحو حماية الآخرين، عشقوا المراكز الأولى. عزياً الملك مثلاً تورط

فصار أبرص (٢ أخ ٢٦: ١٦-٢١). وبالمثل سيمون (الساحر) تورط فصار ملعوناً وانتهى به الأمر إلى أسوأ المهالك، ولو أن بولس أيضاً تصرف مثلهم لكنه نأى عن كبريائهم وفاز بالإكليل.

ليس الإكليل الخاص بالكهنوت اللاوي وكراماته، بل على العكس من ذلك إكليل الخدمة والأتعاب والمخاطر. وكما أنه شرع في سعيه

تحت إلهام غيرة قوية وحمية شديدة فلهذا السبب يُنادى باسمه، ولأجل هذا صار مشهوراً منذ البدء.

٦- بالمثل من تقلد مسئولية القيادة، لو لم يَقم بواجبه كما ينبغي، فإنه يستحق عقوبة أكثر صرامة، كذلك لو أن شخصاً ما حتى بدون تفويض صريح مارسها بحسبما يليق، لست أقول هذا عن مهام الكهنوت، بل عن المهام التي يهتم فيها بالجمع - فهو جدير بكل مدح. لهذا السبب لم يبق بولس مستريحاً ولا ليوم واحد، وهو الذي حميته فاقت حرارة النار، ومن اللحظة التي صعد فيها من النبع المقدس (للمعمودية) فإن شعلة قوية اشتعلت داخله، وبدلاً من أن يفكر في المخاطر أو استهزاءات اليهود الذين ازدروا به أو يفكر في عدم إيمانهم أو في كل صعوبة من هذا النوع، فبمجرد نواله للعنيتين الآخرين اللتين للمحبة وحصوله على ذهن جديد فإنه وثب بحركة مندفعة وكأنه سيل متدفق جارفاً في مسيره كل مواقع اليهود المنيعَة ومبرهنًا لهم من الكتب المقدسة أن المسيح هو المسيا. وفي الحقيقة ومع أنه لم يستمتع بعد بعدد كبير من النعم الإلهية ولم يُمنح الروح بعد بالدرجة التي صارت له (فيما بعد)، إلا أنه التهب في الحال وسلك في كل شيء بنفس مية وتصرف في كل موقف كما لو كان يريد أن يكفر عن ماضيه ودون مراعاة لتعبه ألقي نفسه في الموضع الذي سيكون فيه القتال أكثر إيلاًماً والذي هو ممتلئ بأخطار عنيفة.

احترامه للتلاميذ

٧- ومع أنه أظهر مثل هذا الإقدام ومثل هذه الحرارة واشتعل بهذه النار، فإنه مع ذلك كان وديعاً وطائعاً تجاه كل من يملي عليه كيف ينبغي

نه أن يتصرف، حتى أنه لم يقاوم بالرغم من شدة غيرته (الروحية). وفي الحقيقة بينما كان ملتهباً ومحمولاً بحماس شديد (للتبشير) طلبوا إليه أن يرحل إلى قيصرية وطرسوس (أع ١٩: ٣٠) فرحل ولم يجادل، وأشاروا عليه أن يتدلى في سل فرضخ للأمر، ونصحوه بأن يحلق فلم يعارض (أع ٢٣: ٢٤-٢٦)، وطلبوا إليه ألا يصعد إلى المسرح في أفسس فأطاع (أع ١٩: ٢٩-٣١). وفي كل مواقفه كان مستجيباً وطائعاً ولكن فقط في إطار ما فيه خير المؤمنين والسلام والاتفاق، وفي كل موقف سهر أيضاً على نفسه للبشارة بالإنجيل.

ب- الرحلة إلى روما

٨- وعلى ذلك عندما تسمع أن بولس أرسل ابن أخته إلى الأمير (أع ٢٣: ١٦-١٨) بنية أن ينجي نفسه من المخاطر، أو عندما رفع دعواه إلى قيصر (أع ٢٥: ١٠-١١) وسارع إلى روما فلا ترى في هذه الكلمات علامة على الجبن. وفي الواقع ذاك الذي كان يئن من بقائه في العالم (رو ٨: ٢٣؛ ٢ كو ٥: ٤)، كيف لا يفضل صحبة المسيح على كل ما عداها؟ ذاك الذي فضل أن يكون محروماً من السماء ولم يبال بالملائكة لأجل يسوع كيف يرغب في الخيرات الزمنية؟ فلماذا نراه قد تصرف هكذا؟!.

إنه قد تصرف هكذا لكي يتكسر للكراسة بالإنجيل ويغادر العالم وهو محاط بجوقة من القديسين كلهم حاملون الأكاليل. وهو في الحقيقة خاف أن يغادر هذه الأرض كفقير لعدم حصوله على خلاص غالبية الناس. ولهذا السبب قال: "أن أبقى في الجسد ألزم من أجلكم" (في ١: ٢٤).

٩- لهذا السبب أيضاً إذ رأى أن المحكمة قدمت حكماً مشجعاً جداً في صالحه لدرجة أن أغريباس قال لفستوس: "كان يمكن أن يُطلق هذا الإنسان لو لم يكن قد رفع دعواه إلى قيصر" (أع ٢٦: ٣٢).

وإذ كان مقيداً واقتيد مع سجناء كثيرين مذنبين بجرائم لا حصر لها، فهو لم يخجل من أن يكون مقيداً معهم، لكن على العكس أثناء كل رحلة السفر في البحر سهر على سلامة مرافقيه (في السفينة)، ولم يهتم بأمر نفسه وعرف أنه لن يصيبه أي خطر (في هذه الرحلة)، ولهذا السبب قطع كل هذه المسافة في البحر وهو مقيد بالسلاسل وممتلئ فرحاً كما لو كان مرسلًا لقضاء مهمة هامة جداً. وفي الحقيقة لم تكن الموقعة المعروضة عليه عديمة الأهمية إذ أنها هي تبشير مدينة روما وتحويلها عن وثنياتها. ولكن بدلاً من أن يهمل رفقاءه في الرحلة فإنه هدأهم بأن سرد لهم الرؤيا التي عاينها وفيها أكد له الملاك أن الله وهبه أنفس جميع المسافرين معه. وهو تصرف بهذه الطريقة ليس لكي يتباهى بنفسه بل لكي يجعلهم ودعاء من جهته. هذا هو الدافع الذي لأجله سمح الله بهيجان البحر عندما رفضوا الإستماع لبولس وأيضاً عندما أطاعوه،

ففي كل موقف ظهرت النعمة التي كانت فيه. وهم - في الواقع - عندما نصح بعدم السفر في البحر ولم يسمعوا له (أع ٢٧: ١٠)، جازوا أسوأ المخاطر، ومع ذلك حتى في مثل هذا الموقف، فبدلاً من أن يكون عبئاً عليهم، فإنه على العكس سهر على رعايتهم كأب يسهر على أولاده وعمل كل ما في وسعه لكي لا يهلك أحد. ثم لما دخل بولس روما، تأمل أية وداعة أظهرها هناك أيضاً في حديثه (أع ٢٨: ١٧-٢٠)، وأية شجاعة كانت له عندما أغلق أفواه غير المؤمنين

(أع ٢٨: ٢٥-٣١)، ودون التوقف في هذه المدينة غادرها للركض نحو أسبانيا.

١٠- إن المخاطر التي جازها بولس هي التي زودت ثقته وجعلته أكثر جسارة، وليس هو فقط بل أيضاً تلاميذه عن طريقه. في الواقع لو كانوا رأوه قد هجر وطنه واستسلم للخوف، لكانوا هم أنفسهم ارتخوا، لكن بالمقابل حيث إنهم لاحظوا أنه لم يصر إلا أكثر شجاعة، وبالرغم من الإساءات التي عاناها رأوه أكثر تحمساً، فإنهم بشروا بالإنجيل بشجاعة وهذا ما شرحه بقوله: "وأكثر الإخوة وهم واثقون في الرب بوثقي يجترئون أكثر على التكلم بالكلمة بلا خوف" (في ١: ١٤).

عندما يثبت القائد شجاعته ليس فقط في الذبح والقتل بل أيضاً عندما يواصل جهاده رغم إصابته، وإذ يراه أتباعه غارقاً في دمائه ومثخناً بالجروح ورغم هذا فإن رجليه لم ترتخيا أمام العدو، بل على العكس كان صامداً بشجاعة ماسكاً برمحه وضارباً العدو ومقاتلاً بحماس أكثر شدة دون أن يستسلم لآلامه، فإنه بذلك يجعل من هم تحت إمرته أكثر جسارة لاسيما عندما يرون الجروح التي أصابته أكثر من تلك التي أصاب بها الأعداء، وهذا ما حدث تماماً لبولس، فعندما رآه تلاميذه مقيداً ويبشر بالإنجيل وهو مسجون ومجلود ومكتسباً إلى جانبه من يجلدونه بسبب أتعابه، فإنهم أظهروا جرأة أكثر. لهذا السبب فهو لم يكتف بقوله "يجترئون" بل أضاف قوله "يجترئون أكثر على التكلم بلا خوف".

وهو بوجه آخر قال: إن الإخوة يتكلمون الآن بجسارة أكثر مما عندما كنت طليقاً. حينئذ هو أيضاً صار متحمساً بقوة أكثر ومضاعفاً نشاطه ضد أعدائه وبالقدر الذي به تزداد الاضطهادات، بنفس القدر تزداد جسارته، وهذه الاضطهادات كانت بالنسبة له نقطة انطلاق لجسارة أكثر قوة.

مضطهدوه

١١- على سبيل المثال، فإنه ذات يوم وضع في السجن ولمعت عيناه ببريق حتى أن أساسات السجن تزعزعت والأبواب انفتحت وجذب السجان إلى الإيمان، وكاد أيضاً في موضع آخر أن يقنع القاضي حتى أنه قال له شخصياً: "بقليل تقتني أن أصير مسيحياً" (أع ٢٦: ٢٨)، وفي مرة أخرى رجموه فقام بعد قليل ودخل المدينة التي ضربه أهلها بالحجارة فحولهم إلى الإيمان. وذات مرة استدعي أمام المحكمة ليحاكم بواسطة اليهود ومرة بواسطة الأثينيين، فحدث أن قضاته صاروا تلاميذه ومعارضيه صاروا من رعاياه (أتباعه). وكما أن النار التي تجتاح مواد مختلفة تكتسب قوة أكثر وتمسك بالشيء الذي يقابلها لتشتعل أكثر، لذلك كلمة بولس اكتسبت إلى جانبها كل من احتكت بهم، وكل من حاربوه أسرههم بأحاديثه وصاروا بسرعة طعماً لهذه النار الروحية، وبفضلهم أخذت الكلمة اتساعاً أكثر وأدركت أناساً آخرين. لهذا السبب قال بولس: "الذي فيه أحتمل المشقات حتى القيود كمنذب. لكن كلمة الله لا تقيد" (٢ تي ٢: ٩). وقد أجبر على الفرار ولكنه بالتأكيد تصرف حسناً، والاضطهاد أدى إلى إرسال تلاميذه محله ليعلموا آخرين (أع ١٣: ٥٠-٥١؛ ١٤: ٥-٧). وكونه صنع أصدقاء ومشايخين له (في

كل مكان) فأعداؤه هم السبب، بكونهم لم يتركوه يستقر في بلد واحدة، بل بفضل مكائدهم وملاحقاتهم أرسلوا طبيب النفوس بحيث أن كل العالم سمع كلمته. وعند تقييده مرة أخرى، فإنهم حضّوه (على تكثيف نشاطه بالرسائل) بالأكثر، وعند طرده تلاميذه من موضع يرسل منهم من يعلم في موضع آخر، وعند اقتياده لمحكمة أعلى مستوى يجعلونه يخدم (بالكلمة) في مدينة عظيمة الأهمية (روما).

١٢- إن نفس السبب الذي جعل اليهود يضطربون أمام الرسل ويقولون: "ماذا نفعل بهذين الرجلين؟" (أع:٤:١٦)، لأن الذي نعمله معهم يزيد من تأثيرهم ونفوذهم، لكن ذلك الرجل قيده بولس (بالإيمان) بقوة أكثر.

تم ترحيله مع المساجين لكي يتحاشوا فراره (من مدينة لأخرى)، لكنه علم الإيمان لهؤلاء المساجين، أنهم رحّلوه بحراً بحيث أن الانتقال يتم بسرعة (حتى لا يتقابل مع أناس يركز لهم) وهوذا الغرق الذي حدث للسفينة أتاح له الفرصة لتعليم من فيها، إنهم هددوه بألف عقوبة لكي يخدموا البشارة بالإنجيل، لكن هذا جعل البشارة بالإنجيل تنتشر بالأكثر. وكما أن اليهود قالوا عن الرب: "نقتله حتى لا يأتي الرومان ويأخذوا موضعنا وأمتنا" (انظر يو ١١:٤٨)، فإن العكس هو الذي حدث، فلكونهم أمانتوه دمر الرومان أمتهم ومدينتهم، وإذ ظنوا أنهم هكذا يقيمون عقبة (قاضية على الإنجيل)، فإنهم عضدوا الكرازة بالإنجيل، وكذلك فيما يتعلق بكرازة بولس فبالقدر الذي به كدسوا الدسائس لاستئصال الكلمة، فبهذا القدر عضد هؤلاء الناس نفوذهم ورفعوه إلى علو لم يُسمع به.

حث أخير

١٣- فلنشكر الله الصانع العجائب لأجل كل هذه الخيرات ولنعلن عن طوباوية بولس الذي كان واسطتها ونصل لكي نحصل نحن أيضاً على نفس هذه الخيرات بنعمة ومحبة ربنا يسوع المسيح الذي له المجد مع الأب والروح القدس إلى دهر الدهور آمين.

- عظات القديس يوحنا ذهبي الفم، رئيس أساقفة القسطنطينية هي دعوة إلى الباحثين عن الحقيقة .. الضارين في صحراء هذا العصر طلباً للسعادة المرجوة.
إن هذا الكتاب النابع من أصيل إيمان القديس يوحنا الذهبي الفم، وعميق خبرته، وواسع إطلاعه هو دليل إلى النور للتائبين، ومرشداً إلى الطريق الذي ينشدون ويلتسمون....

المطران . كريكور أوغسطينوس كوسا
أسقف الاسكندرية للآرمن الكاثوليك

- القديس يوحنا فم الذهب كان عظيماً في كتاباته وعظاته الدسمة في مواضيع كثيرة أهمها عظاته عن التوبة ولاهوت وطبيعة المسيح وتفسير الكتاب المقدس.
أصلى أن يكون هذا الكتاب سبب بركة للكثيرين.

الأنبا بطرس

الأسقف العام بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية

- صوت يتردد صده من أكثر من ألف وستمئة سنة ولا زالت طاقته الروحية تتدفق عبر القرون، فالمادة لا تفنى، والكلمة لا تموت، والروح أزلية لا تغيب، والقداسة والسيرية النقية. العطرة تغمر التاريخ، لا زال فضاء البشرية يردد الحان الخلود التي عزفها القديسون تهب الوجدان، كأنهم أحياء بيننا وإن كانوا قد انتقلوا إلى عالم أفضل بعد
عظات القديس يوحنا فم الذهب، تجربة روحية رائعة لرجل عاش للمسيح .إنها بستان روحي تنوع فيه الأزهار الروحية بألوانها الزاهية ومعانيها العميقة

الأنبا يوحنا قلته

النائب البطريركي لطائفة الأقباط الكاثوليك

- أشعر بغاية السعادة أن نقدم للقراء كتابات القديس يوحنا ذهبي الفم الذي تعتز به الكنائس الأرثوذكسية الشرقية والكاثوليكية وأيضاً الأسقفية . كان القديس يوحنا ذهبي الفم واعظاً قديراً لذلك سمي بذهبي الفم ولا شك أن السبب في قوة كتاباته وعظاته أنها نابعة من الكتاب المقدس الذي درسه بعناية وفسره بدقة وأعلنه بشجاعة لا نظير لها جعلته لا يعاباً باضطهاد الامبرطور الروماني له واستعباده من مكانه كأسقف للقسطنطينية . أصلى ان كل من يقرأ هذا الكتاب يزداد إيماناً وتمسكاً بيسوع المسيح المساوي للآب في الجوهر والذي يفتح ذراعه لكل من يتوب ويرجع إليه

المطران الدكتور/ منير حنا أنيس

مطران الكنيسة الأسقفية بمصر وشمال افريقيا والقرن الأفريقي
المطران الرئيس لإقليم القدس والشرق الأوسط